تحذير الأماجد

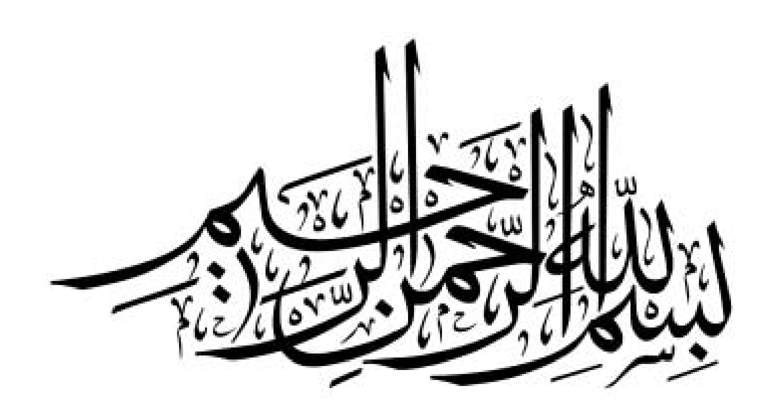
من الرّقص والوجد في المساجد

تحذير الأماجد

من الرّقص والوجد في المساجد

بقلم

جميل بن خليل عيال سلمان


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل؛ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ **[آل عمران:١٠٢]**.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ **[النساء:١]**.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ **[الأحزاب:٧٠-٧١]**.

وبعد:

فلقد أوجب الله سبحانه وتعالى على عباده، أن يتّبعوا، ولا يبتدعوا، وأن يقسطوا، ولا يفرّطوا، وأن يأمروا بمعروف، وينهوا عن المنكر، وأن يتعلّموا العلم الّذي يبصرهم للحقّ، وينوّر قلوبهم، ويشفي صدورهم، ويبيّض وجوههم في الدّنيا، والآخرة بنور السّنة، يوم لا ينفع مال، ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ولقد نشأت منذ صغري في بيئة صغيرة، طابعها التّصوّف الشّاذلي، ولكن لحداثة السنّ وقلّة المعلّمين ما كنّا ندري ما الحقّ، ولا حقيقة الإيمان، حتىٰ كبر سنّي، وتعلمنا أول حق علىٰ العباد، والّذي هو توحيده الله، وعبادته علىٰ الوجه الّذي أراده وأمر به وبالإخلاص له، ثمّ تحقيق الشّرط الثّاني: متابعة النّبيّ في طريقته، وسنّته علىٰ وفق فهم السّلف، بعد ذلك علمت علم اليقين ما كانت عليه الصّوفية من البدع : كالرّقص، وتلحين القصائد مع ما يصاحبها من لهو، ومجون، والخروج عن المروءة، والمألوف، والأدهىٰ والأمر، تشوّفهم لقبور الأولياء، والصّالحين، والغلوّ فيهم من توسّل، وطلبٍ للبركة، وشدّ الرّحال إليها، وعلمت أيضاً ما كانوا عليه من الحقد الشّديد، والكراهية لأهل السّلف؛ سبّاً، وتكفيراً لهم، وما نقموا منهم إلاّ؛ لأنّهم ينكرون عليهم بدعهم، ومخالفتهم لخير القرون الثّلاثة الأولىٰ، وقد سمعت مريداً منهم يقول بكلّ جرأة، إنّ شيخ الإسلام_ ابن تيمية_ زنديقٌ، وما أزندق منه إلّا تلميذه ابن القيم رحمهما الله، لكن مضت سنة الله في النّبيين والصّدقيين، والشهداء، والصّالحين بأن يكون لهم أعداء من شياطين، الإنس، والجنّ.

ونصرةً للسنّة، وحراستها من كلّ ما يدنّسها، وإخماداً لنار البدعة الصّوفية، ودمغاً لأربابها، وتنكيساً للغالين فيها، وتوضيحاً للسائل، والمحروم من السّنّة، ونصحاً لمن تعلّق في حبالهم، رأيت أن أكتب، شيئاً يُوضِحُ منهجهم، ويكشف أستارها، ويبين عوارها، ولو بزاد عبد فقير، فأسأل الله أن أكون قد أوجزت، وأصبت، وسددّت، وقاربت.

ربّ اغفر، وارحم، واهدنا لكلّ خير، هُداةً مهديين لا ضالّين، ولا مضلّين، وصلىٰ اللهم علىٰ سيد الأولين، والآخرين، وعلىٰ صحبه، ومن تبعهم إلىٰ يوم الدّين.

ذمّ البدع والتّمسّك بالسّنّة

إنّ من نعم الله علىٰ عباده المؤمنين؛ أن أنزل عليهم كتابه، وبعث إليهم رسوله (ﷺ)؛ ليبيّن للنّاس ما نُزِّل إليهم تبياناً، وتفصيلاً؛ لِئلا يكون للنّاس علىٰ الله حجة بعد الرّسل، فقد بلّغ النّبيّ (ﷺ) رسالة ربّه من غير غلوّ، ولا كتمان، فبيّن لهم ما يحتاجونه من مقاصدَ في دينهم، وأنفسهم، وعقولهم، ونسلهم، وأموالهم، فأحكم الله شرعه غاية الإحكام، وأتم البيان، فلا حاجة لاختراع في الدّين؛ ابتغاء الغلو في العبادات، والسّلوك عليها، بل الشّرع شرعُ الله وهديُ رسوله (ﷺ)، فقد أكمل الله دينه في غاية الحسن، والكمال وجعل ذلك من تمام نعمه علىٰ عباده، كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا...﴾ [**المائدة:٣**]، وبيّن الله سبحانه وتعالىٰ بأنّ هداية عباده للحقّ، متلازمةٌ في طاعة نبيّه (ﷺ) لقوله: ﴿...وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [**النور:٥٤**]، فكفىٰ بسنته (ﷺ) هادياً، ونصيراً. فكلّ الخير في اتباع طريقته واقتفاء أثره، وسلوك طريقة صحبه ﭫ لقوله (ﷺ): ((فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))[1]، فالدّين بالاتباع لا بالابتداع. ولعظيم شرّ البدعة، والابتداع، وخطرها علىٰ توحيد الاّتباع كان النبيّ (ﷺ) في كلّ خطبة يخطبها يحذّر أمته من البدع، كما جاء عنه: ((عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ

---

١ - أخرجه ابن ماجه برقم ٤٢ وصححه الألباني في ضعيف ابن ماجه.

يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ»، وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ، وَالْوُسْطَىٰ، وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرُ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1]، (ﷺ): «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»[2]، اعلم أخي المسلم بأنّ العمل الشّرعي الّذي يتقبله الله سبحانه وتعالىٰ ما كان أخلصه، وأصوبه، فهما شرطان عظيمان، فلا يغني أحدهما عن الآخر، كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ٥﴾ [البيِّنة:٥]، وقال (ﷺ): «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَىٰ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[3]، فالنيّة الخالصة لله لا بد من مصاحبتها للأعمال الشرعيّة الظاهرة، والباطنة، وأمّا كيفيّة طريقة العبادة والإصابة في متابعة النّبيّ (ﷺ)، فلا بدّ من الموافقة في الزّمان، والمكان، والنّوع، والكيفيّة، والقدر، من غير تفريط، ولا إفراط، وأمّا إرادة الخير من غير إصابة للحق في موافقة النّبيّ (ﷺ)، ومتابعته علىٰ طريقته فهذا ممّا لا شكّ فيه؛ بأنّه من الإحداث في الدّين المبنيّ علىٰ الهوىٰ الّذي يخالف الهدىٰ والاتباع، وكم من مريد للخير، وبعيد كلّ البعد عن السّنة والتزام طريقتها، كما جاء عن أصحاب رسول الله (ﷺ) ورضي الله عنهم أجمعين في إنكارهم للبدع الّتي فسقت من الهوىٰ القلبيّ؛ ظنّاً منهم بأنّهم يحسنون صنعاً، فقد أخرج الدارميّ في سننه: ((أَخْبَرَنَا الْحَكَمُ بْنُ الْمُبَارَكِ، أَنبَأَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَىٰ بَابِ عَبْدِ اللهِّ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ، قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا

---

١ - أخرجه مسلم برقم ٨٦٧.

٢ - أخرجه البخاري برقم ٢٦٩٧ ومسلم برقم ١٧١٨.

٣ - أخرجه البخاري برقم ١

خَرَجَ، مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قُلْنَا: لَا، بَعْدُ. فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّىٰ خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَىٰ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ - وَالْحَمْدُ للهِ - إِلَّا خَيْرًا. [ص:٢٨٧] قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ. قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حصًا، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتظارَ أَمْرِكَ. قَالَ: «أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ»، ثُمَّ مَضَىٰ وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّىٰ أَتَىٰ حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟» قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حصًا نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: «فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَىٰ مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَىٰ مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ (ﷺ) أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ». قَالُوا: وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ. قَالَ: «وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) حَدَّثَنَا أَنَّ» قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ"، وَايْمُ اللهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ))[١]، فمنشأ البدع ألا هو: الاستحسان في الدّين حتّىٰ يصبح ما استحسنته العقول، والقلوب شرعاً يعمل به العاملون تديناً، وقربةً لله، وكما قال الشّافعيّ رحمه الله ((من استحسن في

---

١ - أخرجه الدّارميّ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ج٥ ص:١١.

الدّين فقد شرع)) [1]، وَقَالَ ابْن الْمَاجشون سَمِعت مالكاً يَقُول: من ابتدع فِي الْإِسْلَام بِدعَة يَرَاهَا حَسَنَة فقد زعم أَن مُحَمَّدًا خَان الرسَالَة، لِأَن الله يَقُول: {الْيَوْم أكملت لكم دينكُمْ} فَمَا لم يكن يَوْمئِذٍ دينا لَا يكون الْيَوْم دينا[2]. والعمل بالشرع من غير موافقة النّبيّ في سنّته لا ريب؛ بأنّها رغبة عن سنّة النّبيّ، كما جاء في قصة الرّهط الثلاثة حينما قدموا إلى بيوت النّبيّ ليسألوا عن عبادته: ((عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (ﷺ)، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ (ﷺ)، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ (ﷺ)؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)) [3]، فهؤلاء الرّهط ما أرادوا إلّا خيراً من تبتّل، وصيام غير منقطع وصلاةٍ لليل من غير نوم فكل ذلك عبادة، وطاعة لله ولكنّ عباداتهم قد فقدت شرطاً عظيماً لقبول العمل ألا وهو: موافقة النّبي (ﷺ) في كيفية وطريقته في عبادته لربّه، فمن كان يخشى الله ويتّقه فعليه بالسّنة، والالتزام والاستقامة على الأمر العتيق فكلّ الخير فيه.

فكلّ خير في اتّباع من سلف......وكلّ شرّ في ابتداع من خلف.

---

١ – الاعتصام، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي(المتوفى: ٧٩٠هـ).

٢ – االسنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، المؤلف: محمد بن أحمد عبد السلام خضر الشقيري الحوامدي (المتوفى: بعد ١٣٥٢هـ).

٣ – أخرجه البخاري برقم ٥٠٦٣ ومسلم برقم ١٤٠١.

ذمّ التّقليد من غير اتباعٍ للدليل

لا ينبغي للمسلم أن يقلّد أحداً من الناس وقد أوداه اجتهاده للتّخرّص علىٰ الله ورسوله، أو البعد عن اصابة الحقّ من غير معرفة دليله، وصحته وصحة مدلوله الّذي استدل به من أجله؛ بل علىٰ المسلم الّذي يبحث عن الحقّ واتباعه أن لا يقلد دينه الرّجال، بل عليه أن ينظر إلىٰ موافقة الرّجال للحق، فكم من حزب انتشر وأشعلت شروره وحدة المسلمين واجتماعهم، وكانت معول هدم للسّنة، وسبباً لتفريق الأمة شيعاً، وكان سبب انتشار الأحزاب المارقة؛ بأن قامت علىٰ التّقليد من خلال أتباعهم الّذين اتّبعوهم علىٰ باطلهم من غير دليل، ولا برهان علىٰ صحة دعواهم، وصدق منهجهم، وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله كلاماً نفيساً في ذم التّقليد والغلوّ في اتباع طرق النّاس من غير دليل، قال: ((فَمَنْ جَعَلَ طَرِيقَ أَحَدٍ مِنْ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ أَوْ طَرِيقَ أَحَدٍ مِنْ الْعُبَّادِ وَالنُّسَّاكِ أَفْضَلَ مِنْ طَرِيقِ الصَّحَابَةِ فَهُوَ مُخْطِئٌ ضَالٌّ مُبْتَدِعٌ وَمَنْ جَعَلَ كُلَّ مُجْتَهِدٍ فِي طَاعَةٍ أَخْطَأَ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ مَذْمُومًا مَعِيبًا مَمْقُوتًا فَهُوَ مُخْطِئٌ ضَالٌّ مُبْتَدِعٌ.))[1].

فالتّقليد ليس حجة في نفسه، بل مسوّغ لمن قصر جهده وعقله وفهمه في معرفة الحقّ وتشابه المسائل الفقهية عليه فيما يتعلّق في المسائل الفقهية التفصيلية، وأمّا ما يتعلق في طريقة العبادة وكيفيتها فلا اجتهاد في ذلك بل مبناه علىٰ التوقيف، لا علىٰ الهوىٰ الابتداع، وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهَّ بْنُ خُوَيْزِ مَنْدَادٍ الْبَصْرِيُّ الْمَالِكِيُّ((التَّقْلِيدُ مَعْنَاهُ فِي الشَّرْعِ الرُّجُوعُ إِلَىٰ قَوْلٍ لَا حُجَّةَ لِقَائِلَةِ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ مَمْنُوعٌ مِنْهُ فِي الشَّرِيعَةِ، وَالِاتِّبَاعُ: مَا ثَبَتَ عَلَيْهِ حُجَّةٌ. وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ كُلُّ مَنْ اتَّبَعْت قَوْلَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَجِبَ عَلَيْك قَبُولُهُ بِدَلِيلٍ

---

١ - مجموع الفتاوىٰ ابن تيميه ج١١ ص:٥

يُوجِبُ ذَلِكَ فَأَنْتَ مُقَلِّدُهُ، وَالتَّقْلِيدُ فِي دِينِ اللهَّ غَيْرُ صَحِيحٍ، وَكُلُّ مَنْ أَوْجَبَ الدَّلِيلَ عَلَيْك اتِّبَاعُ قَوْلِهِ فَأَنْتَ مُتَّبِعُهُ، وَالِاتِّبَاعُ فِي الدِّينِ مُسَوَّغٌ، وَالتَّقْلِيدُ مَمْنُوعٌ)) [1]، كثير من النّاس يلتزم بقول من قلده؛ بسبب إفراطه في محبّته، ولو كان قوله باطلاً يضادّ الشّريعة من كلّ وجه، فترىٰ المقلّد يجعل الحقّ حقّاً؛ لأنّه يحبّ شيخه، فالمقياس عنده ليس الدّليل وثبوته، بل الميزان عنده محبته وتعظيمه لشيخه!. تقول له قال الله، وقال رسوله، وقال صحابته، فيقول لك: قال: شيخي، فميزان الحقّ عنده هو الشيخ، أو قطبه!!!، لقد كان من منهج الصحابة، ومن اقتفىٰ أثرهم ينكرون تقليد الرّجال من غير موافقتهم للسّنة، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في إنكاره عَلَىٰ مَنْ يُعَارِضُ مَا بَلَغَهُ مِنْ السُّنَّةِ بِقَوْلِهِ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَيَقُولُ: يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنْ السَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ)، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؛ فَرَحِمَ اللهُّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَرَضِيَ عَنْهُ، فَوَاَللهَّ لَوْ شَاهَدَ خَلْفَنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ إذَا قِيلَ لَهُمْ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ)؛ قَالُوا: قَالَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، لِمَنْ لَا يُدَانِي الصَّحَابَةَ وَلَا قَرِيبًا مِنْ قَرِيبٍ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَدَعُونَ أَقْوَالَهُمْ لِأَقْوَالِ هَؤُلَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ الْقَوْلَ وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ؛ فَيَكُونُ الدَّلِيلُ مَعَهُمْ فَيَرْجِعُونَ إلَيْهِمْ وَيَدَعُونَ أَقْوَالَهُمْ، كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ الْعِلْمِ الَّذِينَ هُوَ أَحَبُّ إلَيْهِمْ مِمَّا سِوَاهُ،)) [2].

إنّ شفاء العيّ من التّقليد وظلمته لا ريب؛ بأنّه العلم الّذي يخرج النّاس من الظّلمات إلىٰ النّور، وإلىٰ مشكاة المصابيح، ويهدي إلىٰ صراط مستقيم، وإلىٰ اتّباع سنّة النّبيّ الكريم صلوات ربي وسلامه عليه، فكلّ من ذاق قلبه مرارة الجهل فلا شكّ بوقوعه في غيابات الضّلال والمنكرات، وظلمات البدع والشّبهات، فلا منجأ ولا ملجأ حينئذٍ إلّا بالتّمسّك بالسّنة والقصد فيها وعدم المشاقّة لسنّته ولجماعة المسلمين من السّلف والخلف الذّين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأصوبه.

---

١ - أعلام الموقعين ج٢ ص ١٣٧.

٢ - أعلام الموقعين ج٢ ص ١٦٨.

تنزيه المساجد عن كلّ ما يدنسها

لقد أمر الله سبحانه وتعالىٰ ببناء المساجد، وعمارتها عمارة شرعيّة مبناها علىٰ كتابه، وسنّة نبيّه (ﷺ)، فقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [**التوبة:١٨**]، وعمارتها تتعلّق بأمرين عظيمين، هما: بناؤها وتحقيق العبادة فيها إخلاصاً لله وحده، فذكر سبحانه وتعالىٰ شروطاً فيمن اتّصف بعمارتها بأنه مؤمنٌ بالله إقراراً، وإذعاناً، وتصديقاً، ومؤمنٌ بأنّ هنالك يوماً فيه يُجزىٰ النّاس بأعمالهم الّتي عملوها في الدّنيا، فخرج بذلك من أشرك بالله فليس من الّذين يعمّرونها بالإيمان، كما يفعله أهل البدع كغلاة الشّيعة، والصّوفية، وغيرهم من الطّوائف المارقة الّتي حادت، وانحرفت عن سبيل المؤمنين وشاقّوا الله ورسوله، فجعلوا من مساجد الله بروجاً علىٰ قبور أوليائهم، ليعكفوا عليها من دون الله، فجعلوها قبلة لهم في دعائهم والاستغاثة بهم والصّلاة إليهم، والنياحة، والرّقص فيها، وجعلوهم زلفىٰ يتزلفون بها إلىٰ الله كما فعل إخوانهم من قبل كما أخبر عنهم: ﴿... وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [**الزُّمَر:٣**]، فليس كلّ من تقرّب إلىٰ الله بغير شرعه، أو بغير طريقة نبيّه (ﷺ)، يكون من عمّار مساجده، فبيت الله مكة المكرمة كان في زمن الجاهليّة لا يخلو من الطّواف حوله لله ولكنّ الله نفىٰ عنهم الإيمان لما أحدثوه من البدع في شرعه من الأوثان، وعبادتها، وجعلِها شريكاً لله، ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم

بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ [**التوبة:١٧**]، وقد أحدثوا في ملة إبراهيم من المحدثات الكثيرات المنكرات: كإحداث التّصفيق، والصّفير، حتّىٰ جعلوا ذلك عبادة من العبادات، وقربة من القربات، كما أخبر سبحانه عنهم: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٥﴾ [**الأنفال:٣٥**]. فقد بيّن الله سبحانه وتعالىٰ مقصد أمره من بنائها، ألا وهو: عمارتها بالتّوحيد، والصلاة، والذّكر، وقراءة القرءان، وكلّ عمل خير، شرعه سبحانه وتعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾ [**النور:٣٦-٣٨**]، فأمر الله سبحانه وتعالىٰ برفعها عن ما يدنّسها، وأمر بتطهيرها من كلّ خبث يتعلّق بالأمور الحسيّة، أو الأمور المعنويّة من الأفعال والأقوال المحرمّة، أو عن اللّغو فيها، ثمّ بيّن سبحانه وتعالىٰ الحكم الثّاني لمقصد بناءها: وهو عمارتها بالصّلوات، والذّكر، لذلك لا ينبغي للمسلم بأن يُحدث حدثاً فيها، فأمر الشّارع الحكيم بتطهيرها من بناء القبور فيها، كما قال (ﷺ) في الحديث الّذي ترويه عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ: ((أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ، وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالَ: «إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1]، وما زال شرار القوم من أدعياء التّوحيد من أهل الشّيعة المارقة، والصّوفيّة الماجنة، يخالفون أمر الله ورسوله، في البناء علىٰ قبور أوليائهم، أو دفنهم في المساجد لتعبد من غير الله سبحانه وتعالىٰ، ومساجد الفرقتين الضّالتين مليئة بأضرحتهم، فأيّ توحيد، وأيّ اتّباعٍ يدّعونه! والله المستعان

---

١ - رواه البخاري برقم ٤٢٧، ومسلم برقم ٥٢٨.

عمّا يصنعون! فمساجد الله ليست بأندية للهو والرّقص، والطّرب وضربّ الدّف، والتّحجيل، ورفعٍ للأصوات باللّغط، واللغو، وللبيع والشّراء، بل هي لذكر الله، كما جاء في الحديث في النّهي عن البيع، والشّراء، وإنشاد الضّالّة، قال : «مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ لَا رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا»[1]، وقال: (("إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي المَسْجِدِ، فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللهُّ تِجَارَتَكَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ فِيهِ ضَالَّةً، فَقُولُوا: لَا رَدَّ اللهُّ عَلَيْكَ "))[2]، هذا فيمن يبتاع ويشتري وينشد عن ضالّته فكيف فيمن أحدث فيها الرّقص، والغناء، وضرب الدّف!!، وأدهىٰ من ذلك، وأمر؛ بأن يعتقد ذلك قربةً لله، واتّباعاً لرسول الله (ﷺ)، كما تفعله صوفيّة الوجد، والرّقص، تشبّهاً بالنّساء لأنّ ذلك من خصائصهنّ، بل وألحد من ذلك أنِ ادّعوا بأنّ ذلك من شرع الله كذباً، وزوراً، فأوداهم غلوّهم، وسوء صنيعهم، وضلالة فكرهم؛ بأن حكموا علىٰ من خالفهم بأنّه ليس من الدّين في شيء! فكفّروا مخالفهم، وفسّقوه، ورموه بألفاظ شنيعة، وتربّصوا به ريب المنون، وأفرطوا في شتمه، ولعنه. فحبّهم لله ولرسوله مبنيّ علىٰ رنّة الشّيطان، ومزماره، وعلىٰ لحن الشّيطان، وأوتاره، أيّ عقل ودين يكون الرّقص والتّحجيل عبادة لله! أبِالله، وشرعه يلهون، ويلعبون وهم سامدون! حتّىٰ مدّهم طغيانهم بأن اشتروا بآيات الله لهو الحديث-الغناء، واللهو والمجون- ليضلوا به النّاس وأنفسهم عن سبيل الله، والله المستعان علىٰ ما يصفون. بيوت الله لا بدّ من صيانتها، وحراستها، من كلّ ما يُدنّسها وهذا واجب شرعيّ، وقد خاب وخسر من حاربها، ومنع أن تُذكر فيها دعوة التّوحيد، والسّنّة، وأمر بالمنكر فيها، ونهىٰ عن المعروف فيها، وجعلها مستودعاً،ملجاً للبدعة، وأهلها.

---

١ - أخرجه مسلم برقم ٥٦٨.

٢ - أخرجه الترمذي برقم ١٣٢١، وصححه الألباني، المشكاة (٧٣٣)، الإرواء (١٤٩٥) وصحيح وضعيف الترمذي ١٣٢١.

متىٰ ظهرت الحركة الصّوفيّة

إنّ أول ظهورٍ لها كان في البصرة، كما ذكر شيخ الإسلام بن تيمية: ((فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا ظَهَرَتْ الصُّوفِيَّةُ مِنْ الْبَصْرَةِ وَأَوَّلُ مَنْ بَنَىٰ دويرة الصُّوفِيَّةِ بَعْضُ أَصْحَابِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ وَعَبْدُ الْوَاحِدِ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ وَكَانَ فِي الْبَصْرَةِ مِنْ الْمُبَالَغَةِ فِي الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ وَالْخَوْفِ وَنَحْوِ ذَلِكَ))[1].

لم يكن التّصوف في تلك الفترة علىٰ ما هي عليه صوفيّة اليوم من البدع المنكرة وبعضها يصل لحدّ الشّرك، بل كان أصحاب الدُويرة في تلك الفترة يبالغون في الزّهد، والعبادة، والخوف، حتىٰ نشأة ناشئة بعدهم فأحدثوا بدعاً تنافي مقاصد الشريعة: كتعظيم أوليائهم، وبناء الأضرحة علىٰ قبورهم وجعلها مساجد لهم، وكنصرتهم للحركة الباطنيّة الإسماعيلية في اتخاذ أعيادهم ديناً لهم ومنها: المولد النّبويّ الذي أحدثته الدولة العبيدية الكافرة، ومنها، اتخاذ الرّقص اليهوديّ والمجوسيّ، والغناء عبادة من العبادات، وممّا أحدثوه عوذاً بالله من شطحاتهم؛ بأن جعلوا أقطابهم، وأوليائهم أفضل من أنبياء الله، كما قالوا:

مقام النّبوة في برزخٍ.....فويق الرّسول ودون الوليّ.

وأكثر من ذلك بأن اعتقدوا تصرّفهم في ملكوت الله سبحانه وتعالىٰ، وأعظم من ذلك افتراءً بأنّ الحلّاج وابن عربيّ وغيرهما أحدثوا عقيدة الاتحاد والوجود وهي

---

١ - مجموع الفتاوىٰ ج١١، ص:٦.

عقيدة النصارىٰ، الممزوجة باسم اللّاهوت والنّاسوت، وغير ذلك من شطحاتهم الكفريّة المارقة الّتي منشأها، اليهوديّة والمجوسيّة، والنّصرانية، والفلاسفة كابن سينا وغيره، ودعاهم انحرافهم وزيغهم أيضاً؛ بأن كذبوا علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلّم، واختلقوا أحاديث مكذوبة تحلّ لهم ما حرّمه الله ورسوله (ﷺ) وتحرّم ما أحلّه الله ورسوله؛ ابتغاء الفتنة وابتغاء تحريف الكلم عن مواضعه، ليضلوا النّاس عن الحقّ والهدىٰ، وتحصيناً لحججهم الّتي هي أضعف من بيت العنكبوت، لو كانوا يعلمون، فقد أحدثو في شرّع الله أكثر من ذلك. والحمد لله علىٰ أن جعل في كلّ خلف عدوله يدافعون عن شرعه وسنّة نبيّه (ﷺ)، فيبطلون انتحالهم، وتحريفهم، وتأويلهم، بالحجة، والبرهان، والله متمّ نوره ولو كره الظالمون.

الإختلاف في اشتقاق كلمة" الصّوفيّ"

أختلف بعض أهل العلم في اشتقاق كلمة "صوفيّ". وشيخ الإسلام ابن تمية رحمه الله قد أبلغ حجته، وأوضح محجته في بيان ذلك.

قال رحمه الله:

((الْحَمْدُ للهِ، أَمَّا لَفْظُ " الصُّوفِيَّةِ " فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَشْهُورًا فِي الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ وَإِنَّمَا اُشْتُهِرَ التَّكَلُّمُ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَدْ نُقِلَ التَّكَلُّمُ بِهِ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ الْأَئِمَّةِ وَالشُّيُوخِ: كَالْإِمَامِ أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ وَأَبِي سُلَيْمَانَ الداراني وَغَيْرِهِمَا. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِهِ وَبَعْضُهُمْ يَذْكُرُ ذَلِكَ عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَتَنَازَعُوا فِي " الْمَعْنَى " الَّذِي أُضِيفَ إلَيْهِ الصُّوفِيُّ – فَإِنَّهُ مِنْ أَسْمَاءِ النَّسَبِ: كَالْقُرَشِيِّ وَالْمَدَنِيِّ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ. فَقِيلَ: إنَّهُ نِسْبَةٌ إلَى " أَهْلِ الصُّفَّةِ " وَهُوَ غَلَطٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَقِيلَ: صفي. وَقِيلَ نِسْبَةٌ إلَى الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ بَيْنَ يَدَيْ اللهِ وَهُوَ أَيْضًا غَلَطٌ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَقِيلَ: صفي. وَقِيلَ نِسْبَةٌ إلَى الصَّفْوَةِ مِنْ خَلْقِ اللهِ وَهُوَ غَلَطٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَقِيلَ: صفوي وَقِيلَ: نِسْبَةٌ إلَى صُوفَةَ بْنِ مر بْنِ أد بْنِ طانجة قَبِيلَةٌ مِنْ الْعَرَبِ كَانُوا يُجَاوِرُونَ بِمَكَّةَ مِنْ الزَّمَنِ الْقَدِيمِ يُنْسَبُ إلَيْهِمْ النُّسَّاكُ وَهَذَا وَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِلنَّسَبِ مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ فَإِنَّهُ ضَعِيفٌ أَيْضًا؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ غَيْرُ مَشْهُورِينَ وَلَا مَعْرُوفِينَ عِنْدَ أَكْثَرِ النُّسَّاكِ وَلِأَنَّهُ لَوْ نُسِبَ النُّسَّاكُ إلَى هَؤُلَاءِ لَكَانَ هَذَا النَّسَبُ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ أَوْلَى وَلِأَنَّ غَالِبَ مَنْ تَكَلَّمَ بِاسْمِ " الصُّوفِيِّ " لَا يَعْرِفُ هَذِهِ الْقَبِيلَةَ وَلَا يَرْضَى أَنْ يَكُونَ

مُضَافًا إِلَىٰ قَبِيلَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا وُجُودَ لَهَا فِي الْإِسْلَامِ. وَقِيلَ: – وَهُوَ الْمَعْرُوفُ – إِنَّهُ نِسْبَةٌ إِلَىٰ لُبْسِ الصُّوفِ))[1].

وهذا هو الرّاجح والله أعلم؛ لأنّ نسبة "صوف" هو: صوفيّ، وهذا ما يُعرف في قواعد الصّرف.

---

١ – مجموع الفتاوىٰ ج١١، ص:٦.

براءة صوفيّة الزّهد من شطحات صوفيّة الرّقص والمجون

معلوم بأنّ التّصوّف مرّ بمراحل، ثمّ تولّىٰ بعد ذلك مدبراً عن منهج الكتاب والسّنّة، فكان في بدايته مبنيّ علىٰ الكتاب والسّنّة، ولكنّهم غلّبوا جانب الزّهد، ولم يُعرف يوماً من الأيام بأنّه طريقة مخترعة في الدّين، ولكن خلف من بعدهم خلفٌ أضاعوا السّنن، واتّبعوا الشّهوات، وساروا علىٰ غير هدىٰ الله ورسوله (ﷺ)، وشاقّوا سبيل المؤمنين، وتولوا، واستغنوا عن اتّباع منهج السّلف، وركنوا إلىٰ الّذين ظلموا أنفسهم من أهل الأهواء، فاتّبعوا طريقتهم، وتيمّموها، وغدوا إليها مسارعين، وما أهلكهم في ما هم فيه إلّا جهلهم في الكتاب، والسّنة، ومنهج سلف الأمّة. فشتّان ما بين صوفية الزّهد وغيرهم، فقد كانوا علىٰ الكتاب، والسّنة كما قال شيخ الإسلام رحمه الله : ((وَأَمَّا أَئِمَّةُ الصُّوفِيَّةِ وَالْمَشَايِخُ الْمَشْهُورُونَ مِنْ الْقُدَمَاءِ: مِثْلُ الْجُنَيْد بْنِ مُحَمَّدٍ وَأَتْبَاعِهِ وَمِثْلُ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ وَأَمْثَالِهِ فَهَؤُلَاءِ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ لُزُومًا لِلْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَتَوْصِيَةً بِاتِّبَاعِ ذَلِكَ))[1].

ولقد أنكر مشايخ الصّوفية المشهورون علىٰ كلّ من خالف الكتاب والسّنّة كما جاء مصرّحاً عنهم، فيما نقله شيخ الإسلام:

((وَهَذَا كَثِيرٌ فِي كَلَامِ الْمَشَايِخِ كَقَوْلِ الشَّيْخِ أَبِي سُلَيْمَانَ الداراني: إنَّهُ لَيَقَعُ فِي قَلْبِي النُّكْتَةُ مِنْ نُكَتِ الْقَوْمِ فَلَا أَقْبَلُهَا إلَّا بِشَاهِدَيْنِ: الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ

---

١ – مجموع الفتاوىٰ ج٨، ص:٣٦٩.

الْجُنَيْد رَحْمَةُ اللهَّ عَلَيْهِ: عِلْمُنَا هَذَا مُقَيَّدٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَمَنْ لَمْ يَقْرَأْ الْقُرْآنَ وَيَكْتُبْ الْحَدِيثَ لَا يَصْلُحُ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي عِلْمِنَا أَوْ قَالَ: لَا يُقْتَدَىٰ بِهِ. وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ النَّيْسَابُورِيُّ مَنْ أَمَّرَ السُّنَّةَ عَلَىٰ نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ وَمَنْ أَمَّرَ الْهَوَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا نَطَقَ بِالْبِدْعَةِ؛ لِأَنَّ اللهَّ تَعَالَىٰ يَقُولُ فِي كَلَامِهِ الْقَدِيمِ {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنِ نجيد: كُلُّ وَجْدٍ لَا يَشْهَدُ لَهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فَهُوَ بَاطِلٌ))[1].

وحال الصّوفيّة كحال الشّيعة في دعواهم بأنهم علىٰ طريقة أئمتهم، وأئمتُهم منهم براء، لا يتّفقون معهم إلا بمجرد الاسم فقط. فهؤلاء كبارهم، ينكرون عليهم شطحاتهم، وزيغهم. فالحجة البالغة والمحجة الواضحة هي باتباع الكتاب، والسّنة علىٰ فهم خلفاء الأمة الرّاشدين، فعضوا عليها النّواجذ.

١ - مجموع الفتاوىٰ ج١١، ص:٢١٠.

حكم الغناء والرّقص، والتّواجد وآلات الطّرب وأقوال أهل العلم في ذلك

لا شكّ بأنّ كلّ ذلك من اللهو واللّعب، حيث يستبدلون الأدنىٰ بالّذي هو خير من ذلك، كما جاء في كتاب الله في ذمّ تلك الطّائفة الّتي طاف عليها الشّيطان وهم غافلون عن ذكر الله، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦﴾ **[لقمان:٦]**، فقال عبد الله بن مسعود: الْغِنَاءُ وَاللهَّ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، يُرَدِّدُهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عِيسَىٰ، أَخْبَرَنَا حُمَيْدٌ الْخَرَّاطُ عَنْ عَمَّارٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِي الصَّهْبَاءِ أَنَّهُ سَأَلَ ابْنَ مَسْعُودٍ عَنْ قَوْلِ اللهَّ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ قَالَ: الْغِنَاءُ، وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجَابِرٌ، وَعِكْرِمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٌ وَمَكْحُولٌ وَعَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ وَعَلِيُّ بْنُ بَذِيمَةَ، وَقَالَ الحسن البصري: نزلت هذه الآية وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهَّ بِغَيْرِ عِلْمٍ فِي الْغِنَاءِ وَالْمَزَامِيرِ[١].

وقال ابن الجوزيّ: ((الغناء يخرج الإنسان عَنِ الاعتدال ويغير العقل وبيان هَذَا أن الإنسان إذا طرب فعل مَا يستقبحه فِي حال صمته من غيره من تحريك رأسه وتصفيق يديه ودق الأَرْض برجليه إِلَىٰ غير ذلك مما يفعله أصحاب العقول السخيفة والغناء يوجب ذلك بل يقارب فعله فعل الخمر فِي تغطية العقل فينبغي أن يقع المنع

---

١ – تفسير ابن كثير ج٦، ص٢٩٦.

مِنْهُ. وقَالَ أَبُو عَبْد اللهَّ بْن بطة العكبري سألني سائل عَنِ استماع الغناء فنهيته عَنْ ذلك وأعلمته أنه مما أنكرته العلماء واستحسنه السفهاء وإنما تفعله طائفة سموا بالصوفية وسماهم المحققون الجبرية أهل همم دنيئة وشرائع بدعية يظهرون الزهد وكل أسبابهم ظلمة يدعون الشوق والمحبة بإسقاط الخوف والرجاء يسمعونه من الأحداث والنساء ويطربون ويصعقون ويتغاشون ويتماوتون ويزعمون أن ذلك من شدة حبهم لربهم وشوقهم إليه تعالى اللهَّ عما يقوله الجاهلون علو كبيرا))[1].

وقال عزّالدّين عبد السّلام: ((وَأَمَّا الرَّقْصُ وَالتَّصْفِيقُ فَخِفَّةٌ وَرُعُونَةٌ مُشْبِهَةٌ لِرُعُونَةِ الْإِنَاثِ لَا يَفْعَلُهَا إلَّا رَاعِنٌ أَوْ مُتَصَنِّعٌ كَذَّابٌ وَكَيْفَ يَتَأَتَّى الرَّقْصُ الْمُتَّزِنُ بِأَوْزَانِ الْغِنَاءِ مِمَّنْ طَاشَ لُبُّهُ وَذَهَبَ قَلْبُهُ، وَقَدْ قَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: «خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُقْتَدَى بِهِمْ يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.

وَإِنَّمَا اسْتَحْوَذَ الشَّيْطَانُ عَلَى قَوْمٍ يَظُنُّونَ أَنَّ طَرَبَهُمْ عِنْدَ السَّمَاعِ إنَّمَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِاَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَقَدْ مَانُوا فِيمَا قَالُوا وَكَذَبُوا فِيمَا ادَّعَوْا مِنْ جِهَةِ أَنَّهُمْ عِنْدَ سَمَاعِ الْمُطْرِبَاتِ وَجَدُوا لَذَّتَيْنِ اثْنَتَيْنِ: إحْدَاهُمَا لَذَّةُ الْمَعَارِفِ وَالْأَحْوَالِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِذِي الْجَلَالِ.

وَالثَّانِيَةُ: لَذَّةُ الْأَصْوَاتِ وَالنَّغَمَاتِ وَالْكَلِمَاتِ الْمَوْزُونَاتِ الْمُوجِبَاتِ لِلذَّاتِ النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ الدِّينِ وَلَا مُتَعَلِّقَةً بِأُمُورِ الدِّينِ، فَلَمَّا عَظُمَتْ عِنْدَهُمْ اللَّذَّتَانِ غَلِطُوا فَظَنُّوا أَنَّ مَجْمُوعَ اللَّذَّةِ إنَّمَا حَصَلَ بِالْمَعَارِفِ وَالْأَحْوَالِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ الْأَغْلَبُ عَلَيْهِمْ حُصُولُ لَذَّاتِ النُّفُوسِ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ الدِّينِ بِشَيْءٍ[2].

---

١ - تلبيس إبليس ص٢١١-٢١٠.

٢ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى:٦٦٠هـ) ج٢، ص٢٢٠.

وقال الإمام القرطبي رحمه الله عند تفسيره: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ **[الإسراء:٣٧-٣٨]**.

اسْتَدَلَّ الْعُلَمَاءُ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ ذَمِّ الرَّقْصِ وَتَعَاطِيهِ. قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْوَفَاءِ ابْنُ عَقِيلٍ: قَدْ نَصَّ الْقُرْآنُ عَلَىٰ النَّهْيِ عَنِ الرَّقْصِ فَقَالَ:" وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً" وَذَمَّ الْمُخْتَالَ. والرقص أشد المرح والبطر. أو لسنا الذين قسنا النبيذ علىٰ الخمر لاتفاقها فِي الْإِطْرَابِ وَالسُّكْرِ، فَمَا بَالُنَا لَا نَقِيسُ الْقَضِيبَ وَتَلْحِينَ الشِّعْرِ مَعَهُ عَلَىٰ الطُّنْبُورِ وَالْمِزْمَارِ والطبل لاجتماعها. فَمَا أَقْبَحَ مِنْ ذِي لِحْيَةٍ، وَكَيْفَ إِذَا كان شبيه، يَرْقُصُ وَيُصَفِّقُ عَلَىٰ إِيقَاعِ الْأَلْحَانِ وَالْقُضْبَانِ، وَخُصُوصًا إِنْ كَانَتْ أَصْوَاتٌ لِنِسْوَانٍ وَمُرْدَانٍ، وَهَلْ يَحْسُنُ لِمَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ الْمَوْتُ وَالسُّؤَالُ وَالْحَشْرُ وَالصِّرَاطُ، صم هُوَ إِلَىٰ إِحْدَىٰ الدَّارَيْنِ، يَشْمُسُ بِالرَّقْصِ شَمْسَ البهائم، ويصفق تصفيق النسوان، و الله لقد رَأَيْتُ مَشَايِخَ فِي عُمْرِي مَا بَانَ لَهُمْ سِنٌّ مِنَ التَّبَسُّمِ فَضْلًا عَنِ الضَّحِكِ مَعَ إدمان مخالطتي لَهُمْ)) [1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية "رحمه الله" : ((وَأَمَّا " الرَّقْصُ " فَلَمْ يَأْمُرْ اللَّهُ بِهِ وَلَا رَسُولُهُ وَلَا أَحَدٌ مِنْ الْأَئِمَّةِ بَلْ قَدْ قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: { وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ } وَقَالَ فِي كِتَابِهِ: { وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا } أَيْ: بِسَكِينَةِ وَوَقَارٍ. وَإِنَّمَا عِبَادَةُ الْمُسْلِمِينَ الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ؛ بَلْ الدُّفُّ وَالرَّقْصُ فِي الطَّابَقِ لَمْ يَأْمُرْ اللَّهُ بِهِ وَلَا رَسُولُهُ وَلَا أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ؛ بَلْ أَمَرُوا بِالْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ وَالسَّكِينَةِ)) [2].

---

١ - تفسير القرطبي ج١٠ / ص٢٦٣.

٢ - مجموع الفتاوىٰ ج١١، ص:٥٩٩.

قال أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي: ((وأما الرقص والتصفيق والصريخ وضرب الأوتار والصنج والبوق الذي يفعله بعض من يدعي التصوف فإنه حرام بالإجماع لأنها زي الكفار)) [1].

وقال ابن قدامة المقدسيّ: ((وَأَمَّا الضَّرْبُ بِهِ لِلرِّجَالِ فَمَكْرُوهٌ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ؛ لِأَنَّهُ إنَّمَا كَانَ يَضْرِبُ بِهِ النِّسَاءُ، وَالْمُخَنَّثُونَ الْمُتَشَبِّهُونَ بِهِنَّ، فَفِي ضَرْبِ الرِّجَالِ بِهِ تَشَبُّهٌ بِالنِّسَاءِ، وَقَدْ لَعَنَ النَّبِيُّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمُتَشَبِّهِينَ مِنْ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ. فَأَمَّا الضَّرْبُ بِالْقَضِيبِ، فَمَكْرُوهٍ إذَا انْضَمَّ إلَيْهِ مُحَرَّمٌ أَوْ مَكْرُوهٌ، كَالتَّصْفِيقِ وَالْغِنَاءِ وَالرَّقْصِ)) [2].

سُئِلَ الإِمَام أَبُو بكر الطرطوشي رَحمَه الله: مَا يَقُولُ سَيِّدُنَا الْفَقِيهُ فِي مَذْهَبِ الصُّوفِيَّةِ؟ وَاعْلَمْ حَرَسَ اللهُ مُدَّتَهُ: أَنَّهُ اجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنْ رِجَالٍ فَيُكْثِرُونَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ وَذِكْرِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ إِنَّهُمْ يُوقِعُونَ بِالْقَضِيبِ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنَ الْأَدِيمِ، وَيَقُومُ بَعْضُهُمْ يَرْقُصُ وَيَتَوَاجَدُ حَتَّىٰ يَقَعَ مُغْشِيًّا عَلَيْهِ، وَيُحْضِرُونَ شَيْئًا يَأْكُلُونَهُ، هَلَ الْحُضُورُ مَعَهُمْ جَائِزٌ أَمْ لَا؟ أَفْتُونَا مَأْجُورِينَ، وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي يَذْكُرُونَهُ:

يَا شَيْخُ كُفَّ عَنِ الذُّنُوبِ ... قَبْلَ التَّفَـــرُّقِ وَالزَّلَلْ

وَاعْمَلْ لِنَفْسِــكَ صَالِحًا ... مَا دَامَ يَنْفَعُـــكَ الْعَمَلْ

أَمَّا الشَّـــبَابُ فَقَدْ مَضَىٰ ... وَمَشِيبُ رَأْسِكَ قَدْ نَزَلْ

---

١ - حاشية الطحاوي علىٰ مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، ج١، ص:٣١٩.

٢ - المغني ج١٠، ص:١٥٣.

وَفِي مِثْلِ هَذَا وَنَحْوِهِ الْجَوَابُ يَرْحَمُكَ اللهُ: مَذْهَبُ الصُّوفِيَّةِ بَطَالَةٌ وَجَهَالَةٌ وَضَلَالَةٌ، وَمَا الْإِسْلَامُ إِلَّا كِتَابُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَأَمَّا الرَّقْصُ وَالتَّوَاجُدُ: فَأَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَهُ أَصْحَابُ السَّامِرِيِّ لَمَّا اتَّخَذَ لَهُمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ، قَامُوا يَرْقُصُونَ حَوَالَيْهِ، وَيَتَوَاجَدُونَ، فَهُوَ دِينُ الْكُفَّارِ وَعِبَادَةُ الْعِجْلِ. وَأَمَّا الْقَضِيبُ: فَأَوَّلُ مَنِ اتَّخَذَهُ الزَّنَادِقَةُ لِيَشْغَلُوا بِهِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَإِنَّمَا كَانَ يَجْلِسُ النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسلم مَعَ أَصْحَابه كَأَنَّمَا علىٰ رؤوسهم الطَّيْرُ مِنَ الْوَقَارِ، فَيَنْبَغِي لِلسُّلْطَانِ وَنُوَّابِهِ أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِنْ حُضُورِ الْمَسَاجِدِ وَغَيْرِهَا، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُؤْمِنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يحضر مَعَهُمْ، وَلَا أَنْ يُعِينَهُمْ عَلَىٰ بَاطِلِهِمْ. هَذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ، وَأَبِي حَنِيفَةَ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ[1].

وقال أبو إسحاق الشّاطبيّ: وَأَمَّا الْمُقَلِّدُ فَكَذَلِكَ أَيْضًا لِأَنَّهُ يَقُولُ: فُلَانٌ الْمُقْتَدَىٰ بِهِ يَعْمَلُ بِهَذَا الْعَمَلِ وَيُثْنِي عَلَيْهِ، كَاتِّخَاذِ الْغِنَاءِ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ طَرِيقَةِ التَّصَوُّفِ بِنَاءً عَلَىٰ أَنَّ شُيُوخَ التَّصَوُّفِ قَدْ سَمِعُوهُ وَتَوَاجَدُوا عَلَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ مَاتَ بِسَبَبِهِ، وَكَتَمْزِيقِ الثِّيَابِ عِنْدَ التَّوَاجُدِ بِالرَّقْصِ وَسِوَاهُ لِأَنَّهُمْ قَدْ فَعَلُوهُ، وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ مِثْلَ هَذَا فِي هَؤُلَاءِ الْمُنْتَمِينَ إِلَىٰ التَّصَوُّفِ.

وَرُبَّمَا احْتَجُّوا عَلَىٰ بِدْعَتِهِمْ بِالْجُنَيْدِ وَالْبَسْطَامِيِّ وَالشِّبْلِيِّ وَغَيْرِهِمْ فِيمَا صَحَّ عِنْدَهُمْ أَوْ لَمْ يَصِحَّ، وَيَتْرُكُونَ أَنْ يَحْتَجُّوا بِسُنَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَهِيَ الَّتِي لَا شَائِبَةَ فِيهَا إِذَا نَقَلَهَا الْعُدُولُ وَفَسَّرَهَا أَهْلُهَا الْمُكِبُّونَ عَلَىٰ فَهْمِهَا وَتَعَلُّمِهَا. وَلَكِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُقِرُّونَ بِالْخِلَافِ لِلسَّنَةِ بَحْتًا، بَلْ يَدْخُلُونَ تَحْتَ أَذْيَالِ التَّأْوِيلِ، إِذْ لَا يَرْضَىٰ مُنْتَمٍ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ بِإِبْدَاءِ صَفْحَةِ الْخِلَافِ لِلسُّنَّةِ أَصْلًا[2].

---

١ - تفسير القرطبي ج٢، ص:٧١٥.

٢ - الاعتصام للشاطبيج٢، ص:٥٤٨.

وقال الصنعانيّ: وَأَمَّا الرَّقْصُ وَالتَّصْفِيقُ فَشَأْنُ أَهْلِ الْفِسْقِ، وَالْخَلَاعَةِ لَا شَأْنُ مَنْ يُحِبُّ اللهَّ، وَيَخْشَاهُ[1].

وقال إبراهيم الحلبي: ((أنّ طائفة ممن يدعي التصوّف، وهو فيه دعيّ بالتصلف قد اتخذوا الرقص واللعب ديدنا، واعتقدوه تديّنا، وخلطوا العبادة باللعب، وافتروا علىٰ الله الكذب، يأخذ بعضهم بيد بعض، ويتحلّقون حلقة، ويدورون محركين أيديهم إلىٰ وراء وقدَّام، ورؤوسهم بالتصعيد / والتسفيل، والتلوي كالهيئة التي يفعلها بعض٢ ب النصارىٰ في لعبٍ لهم يسمونه بركض الديك، ساء ما يصنعون))[2].

وأمّا قول الأئمة الأربعة في الغناء فلم يجزه أحد منهم، كما جاء عنهم.

كان أبو حنيفة يكره الغناء، وهذا مذهب أهل الكوفة. وأمّا مالك، فقال: إنّما يفعله الفسّاق.

وأمّا الشّافعي، فكان يقول: خلفت بالعراق شيئاً أحدثته الزّنادقة، يُسمّونه التّغبير، يشغلون به النّاس عن القرآن. وسئل أحمد عن الغناء فقال: ينبت النّفاق في القلب.

١ – سبل السلام ج٢، ص:١٩٢.

٢ – الرهص والوقص لمستحل الرقص.

وأمّا فتوىٰ اللجنة الدائمة:

س٤: هل ما يفعله الصوفية من رقص وغناء وتمايل ذات اليمين والشمال ذكر كما يسمونه حلال أم حرام؟

ج٤: خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد (ﷺ) وشر الأمور محدثاتها وقد أكمل الله الدين لعباده قولاً وعملاً واعتقادًا، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، والرسول (ﷺ) بيّن هذا الدين بقوله وفعله وتقريره، وصحابته رضي الله عنهم نقلوا عنه (ﷺ) ما صدر منه من الأقوال والأفعال والإقرار، فالدين كامل من جهة قواعده ومن جهة بيانه ونقله، والذكر نوع من العبادات والعبادات مبنية علىٰ التوقيف، ومن خصص شيئًا من العبادات وحدد له وقتًا معينًا أو كيفية خاصة لأدائه فهو مطالب بالدليل، وما ذكر في السؤال لا نعلم له أصلاً شرعيًّا يعتمد عليه، وقد ثبت عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد فما ذكر في السؤال من النوع المردود.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإِفتاء

عضو	عضو
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان
نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز[1]

---

١ - الأسئلة الرابع والخامس من الفتوىٰ رقم (٣٥٤٤): الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

انتهىٰ كلامهم (رحمهم الله جميعاً)، في بيان قبح ما أحدثه المحدثون من الصّوفيّة، وغيرهم. فهي منكرات تأنفها أنوف أصحاب المروءة بأن يفعلوا أفاعيل أهل اللّهو والمجون، الّذين تشبّهوا بالنّساء، في الرّقص والضّرب علىٰ الدّف، حتّىٰ استحوذ عليهم الشّيطان، فأنساهم ذكر الله من التّغني بالقرآن، ومجالس أهل العلم، وصدّهم عن السّبيل، فألقمهم ثدي شهواته، وشبهاته، فقام علىٰ تربيتهم علىٰ الوجد، والرّقص، وحبّ اللهو، واللّعب، فمارت قلوبهم عن الحقّ، وحسبوا أنّهم يحسنون صنعاً، وزعموا بأنّ أهل العلم يحسدونهم علىٰ ما آتاهم الشيطان من مزاميره، ولو صغت قلوبهم لكلام الله، وسنّة رسوله (ﷺ) لوجدوا فيها حلاوة وطعم الإيمان، ولكن قلوبهم أُشربت حبّ الشّهوات، حتّىٰ رانت عليها، فلا يأمرون بمعروف، ولا ينهون عن منكر، إلّا ما أُشرب من هواهم.

أوّل من أحدث الرّقص والتواجد

قيل إنّ أوّل من أنشأ، وأحدث الرّقص، والوجد، هم أصحاب السّامريّ من بني إسرائيل، وقد ذكر ذلك الإمام القرطبيّ في تفسيره ((مَذْهَبُ الصُّوفِيَّةِ بَطَالَةٌ وَجَهَالَةٌ وَضَلَالَةٌ، وَمَا الْإِسْلَامُ إِلَّا كِتَابُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ، وَأَمَّا الرَّقْصُ وَالتَّوَاجُدُ فَأَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَهُ أَصْحَابُ السَّامِرِيِّ، لَمَّا اتَّخَذَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ قَامُوا يَرْقُصُونَ حَوَالَيْهِ وَيَتَوَاجَدُونَ، فَهُوَ دِينُ الْكُفَّارِ وَعُبَّادِ الْعِجْلِ، وَأَمَّا الْقَضِيبُ فَأَوَّلُ مَنِ اتَّخَذَهُ الزَّنَادِقَةُ لِيَشْغَلُوا بِهِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَإِنَّمَا كَانَ يَجْلِسُ النَّبِيُّ (ﷺ) مَعَ أَصْحَابِهِ كَأَنَّمَا عَلَىٰ رؤوسهم الطَّيْرُ مِنَ الْوَقَارِ، فَيَنْبَغِي لِلسُّلْطَانِ وَنُوَّابِهِ أَنْ يمنعهم من الْحُضُورِ فِي الْمَسَاجِدِ وَغَيْرِهَا، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَحْضُرَ مَعَهُمْ، وَلَا يُعِينَهُمْ عَلَىٰ بَاطِلِهِمْ، هَذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِمْ من أئمة المسلمين وبالله التوفيق))[1]، صدق الصّادق المصدوق حينما وصف أهل الشهوات والشّبهات في اتّباعهم لسنن اليهود والنّصارىٰ، وتحرّيها، حينما قال صلوات ربّي وسلامه عليه: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَىٰ قَالَ: «فَمَنْ»[2]. وهاهم غلاة الصّوفيّة يتّبعون سنن اليهود في رقصهم ووجدهم، فجعلوا من ذلك قربة لله، ولو كان ذلك خيراً لفعله أهلّ السّلف من الصّحابة، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم

---

١ - تفسير القرطبي ج١١ ص: ٢٣٨. دار الكتب المصرية - القاهرة.

٢ - أخرجه البخاري برقم ٣٤٥٦، ومسلم برقم ٢٦٦٩.

الدّين، فكان الصّحابة، أكثر تعظيماً، وتوقيراً، لله ولرسوله، ولقد بلغّوا شرع الله ولم يكتموا منه شيئاً، ولم يُنقل عنهم في جواز الرّقص والوجد خبراً صحيحاً! ولكنّ القوم لقلّة زادهم، وفقههم في شرع الله، فلا تجد حديثاً مكذوباً، أو ضعيفاً، إلّا ويعملون به، وجعلوا منه سنة يتبعونها، ودليلاً لهم في تجويز ما هم فيه من الباطل من غير خوفٍ من الله، ولا وجل والله المستعان على ما يصفون، ويصنعون.

شبه الصّوفيّة في جواز الرّقص، والوجد، والغناء

لكلّ حزبٍ خارج عن فهم السّلف شبهاتٌ عليلةٌ مستمكين بها، ووداعين لها، عن غير هدىً من الله ولا كتابٍ منير، وما أهلك القوم، وأغرقهم فيما هم فيه إلّا جهلهم المركب، وطيش عقولهم عمّا ينفعهم من الفقه في الدّين، وتعلّم أصوله، ومسائله، ولو كان عند هؤلاء القوم علمٌ بكتاب الله، وسنة رسوله (ﷺ)، علىٰ وفق منهج سلف الأمّة، لكانت قلوبهم مرآة في دفع تلك الشّبهات، وردّها إلىٰ الكتاب والسّنة، ولكنّ قلوبهم كالسفنجة، تمتّص ما طاب وخبُث، فهذا حال قلب الجاهل في شرع الله، كثير التعلّق بالشّهوات، والشّبهات.

الشّبهة الأولى:

روي (({أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) أَنْشَدَهُ أَعْرَابِيٌّ:

قَدْ لَسَعَتْ حَيَّةُ الْهَوَىٰ كَبِدِي ... فَلَا طَبِيبَ لَهَا وَلَا رَاقِي

إلَّا الْحَبِيبُ الَّذِي شُغِفْت بِهِ ... فَعِنْدَهُ رُقْيَتِي وَتِرْيَــاقِي

وَأَنَّهُ تَوَاجَدَ حَتَّىٰ سَقَطَتْ الْبُرْدَةُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: مَا أَحْسَنَ لَهْوُكُمْ فَقَالَ لَهُ: مَهْلًا يَا مُعَاوِيَةُ لَيْسَ بِكَرِيمِ مَنْ لَمْ يَتَوَاجَدْ عِنْدَ ذِكْرِ الْحَبِيبِ}. ((" فَهُوَ حَدِيثٌ مَكْذُوبٌ مَوْضُوعٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهَذَا الشَّأْنِ. وَأَظْهَرُ مِنْهُ كَذِبًا حَدِيثٌ آخَرُ يَذْكُرُونَ فِيهِ: {أَنَّهُ لَمَّا بَشَّرَ الْفُقَرَاءُ بِسَبْقِهِمْ الْأَغْنِيَاءَ إلَى الْجَنَّةِ تَوَاجَدُوا وَخَرَقُوا ثِيَابَهُمْ وَأَنَّ جبرائيل نَزَلَ مِنْ السَّمَاءِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إنَّ رَبَّك يَطْلُبُ نَصِيبَهُ مِنْ هَذِهِ الْخِرَقِ فَأَخَذَ

مِنْهَا خِرْقَةً فَعَلَّقَهَا بِالْعَرْشِ وَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ زِيقُ الْفُقَرَاءِ} وَهَذَا وَأَمْثَالُهُ إِنَّمَا يَرْوِيه مَنْ هُوَ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ بِحَالِ النَّبِيِّ (ﷺ) وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَمَعْرِفَةِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ.))[1].

الشبهة الثانية

قصّة الجاريتين: ((عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الأَنْصَارِ تُغَنِّيَانِ بِمَا تَقَاوَلَتِ الأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثَ، قَالَتْ: وَلَيْسَتَا بِمُغَنِّيَتَيْنِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) وَذَلِكَ فِي يَوْمِ عِيدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا»))[2].

((قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: قَوْلُهَا لَيْسَتَا بِمُغَنِّيَتَيْنِ أَيْ لَيْسَتَا مِمَّنْ يَعْرِفُ الْغِنَاءَ كَمَا يَعْرِفُهُ الْمُغَنِّيَاتُ الْمَعْرُوفَاتُ بِذَلِكَ وَهَذَا مِنْهَا تَحَرُّزٌ عَنِ الْغِنَاءِ الْمُعْتَادِ عِنْدَ الْمُشْتَهِرِينَ بِهِ وَهُوَ الَّذِي يُحَرِّكُ السَّاكِنَ وَيَبْعَثُ الْكَامِنَ وَهَذَا النَّوْعُ إِذَا كَانَ فِي شِعْرٍ فِيهِ وَصْفُ مَحَاسِنِ النِّسَاءِ وَالْخَمْرِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأُمُورِ الْمُحَرَّمَةِ لَا يُخْتَلَفُ فِي تَحْرِيمِهِ قَالَ وَأَمَّا مَا ابْتَدَعَهُ الصُّوفِيَّةُ فِي ذَلِكَ فَمِنْ قَبِيلِ مَا لَا يُخْتَلَفُ فِي تَحْرِيمِهِ لَكِنَّ النُّفُوسَ الشَّهْوَانِيَّةَ غَلَبَتْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ يُنْسَبُ إِلَىٰ الْخَيْرِ حَتَّىٰ لَقَدْ ظَهَرَتْ مِنْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ فِعْلَاتُ الْمَجَانِينِ وَالصِّبْيَانِ حَتَّىٰ رَقَصُوا بِحَرَكَاتٍ مُتَطَابِقَةٍ وَتَقْطِيعَاتٍ مُتَلَاحِقَةٍ وَانْتَهَىٰ التَّوَاقُحُ بِقَوْمٍ مِنْهُمْ إِلَىٰ أَنْ جَعَلُوهَا مِنْ بَابِ الْقُرَبِ وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَأَنَّ ذَلِكَ يُثْمِرُ سَنِيَّ الْأَحْوَالِ وَهَذَا عَلَىٰ التَّحْقِيقِ مِنْ آثَارِ الزَّنْدَقَةِ وَقَوْلُ أَهْلِ الْمُخَرِّفَةِ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ))[3].

---

١ - مجموع الفتاوىٰ ج١١ ص: ٥٦٣.

٢ - أخرجه البخاري برقم ٩٥٢، ومسلم برقم ٨٩٢.

٣ - فتح الباري ج ٢ ص ٤٤٢.

فليس في الحديث جواز الغناء للرّجال وجعله عبادة من العبادات، بل ذلك من خصائص النّساء، والجاريتان أيضاً: ليستا بمغنيتين من اللّاتي امتهنّ مهنة الغناء برفع الأصوات والتمطيط، وإثارة الشّهوة وغير ذلك، وقيّد النّبي إقراره ذلك بقوله ((يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا))، قال الألباني رحمه الله: **((** فنجد في هذا الحديث أن النبي (ﷺ) لم ينكر قول أبي بكر الصديق في الغناء بالدف أنه " مزمار الشيطان " ولا نهره لابنته أو للجاريتين بل أقره علىٰ ذلك فدل إقراره إياه علىٰ أن ذلك معروف وليس بمنكر فمن أين جاء أبو بكر بذلك؟ الجواب: جاء به من تعاليم النبي (ﷺ) وأحاديثه الكثيرة في تحريم الغناء وآلات الطرب))[1].

الشّبه الثالثة :

تحريفهم معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ﴾ ص: ٤٢.

قال ابن الجوزيّ تعليقاً علىٰ جهالة هؤلاء: ((وهذا الاحتجاج بارد لأنه لو كان أمر بضرب الرجل فرحاً كان لهم فيه شبهة وإنما أمر بضرب الرجل لينبع الماء، قَالَ ابْن عقيل أين الدلالة فِي مبتلىٰ أمر عند كشف البلاء بأن يضرب برجله الأَرْض لينبع الماء إعجازاً من الرقص، ولئن جاز أن يكون تحريك رجل قد أنحلها تحكم الهوام دلالة عَلَىٰ جواز الرقص فِي الإسلام!! جاز أن يجعل قوله تعالىٰ لموسىٰ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ دلالة عَلَىٰ ضرب الجماد بالقضبان!!! نعوذ بالله من التلاعب بالشرع))[2].

١ - تحريم آلات الطّرب ص ١٠٧.

٢ - تلبيس ابليس ص ٢٣٠.

الشّبه الرّابعة

تحريفهم معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ **[آل عمران:١٩١]**.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ **[النساء:١٠٣]**.

من عجيب صنيعهم جرأتهم علىٰ ليّ أعناق النّصوص الشّرعية ابتغاء التّحريف، لمفهوم منطوق وحيّ الكتاب، والسّنة، ليشدّوا إزر بدعهم المنحرفة، عن الفهم الصّحيح، المبنيّ علىٰ الكتاب، والسّنّة وفهم سلف الأمّة، والتّحريف سمة أهل الزّيغ، والانحراف، الّذين في قلوبهم مرض الشّبهات والشّهوات، ومن سماتهم تأويلهم الباطن، المخالف لظاهر القرآن، حيث يجعلون فهم الظّاهر للعوام، والباطن للخواص، وهذا ما صنعوه في تأويل تلك الآيتين، بأن فسّرو القيام والقعود علىٰ الرّقص، وجعلوا ذلك ذكراً لله، وعبادةً من العبادات وقربة لله، فخالفوا بذلك أهل السّنّة والجماعة في مفهوم هاتين الآيتين.

قال إبراهيم الحنفي رحمه الله في بطلان دعواهم: ((ومن جملة الحماقة استدلال بعض من يدّعي العِلم منهم علىٰ إباحة الرقص والدوران المذكور بقوله تعالىٰ : ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [١٤] وهذا الاستدلال منه أبعد شيء عن العِلم، فإن مفهوم الآية تعميم الأحوال التي اعتمارها علىٰ الإنسان ضروري بالذكر، وأين هي من حالة زائدة ذمها الشرع، والعقل، يجب تنزيه الذكر عنها، كما يجب تنزيه

عن حالة التغوط، ومخالطة النجاسات، وسائر أنواع الفسق، فإن الرقص المذكور من جملة الفسق، على ما تقرر، ومن جملتها أنه يزول عن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾[١٥]، ويقيس دورانهم الشنيع على طواف الملائكة بالعرش، وعلى الطواف بالكعبة، فانظر إلى هذه الحماقة، كيف يقيس المعصية على الطاعة، ويُشبّه القبيح بالحسن، ولا يدري أنّ هذا الفعل لو فرض أنه غير قبيح في ذاته لما جاز قياسه على الطواف؛ لأن الطواف أمر تعبدي، ليس للرأي فيه مدخل، قال الشيخ حافظ الدين في منع التشبيه بالواقفين بعرفة : هذه عبارة مخصوصة بمكان، ولا تتصور عبادة في غيره، فإن من طاف حول مسجد ينوي الكعبة يُخشى عليه الكفر، انتهى .[1]

قال ابن كثير في تفسير قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾، فَقَالَ: الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَّ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ. كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ((عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهَّ (ﷺ) قَالَ «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبِكَ»)) أَيْ لَا يَقْطَعُونَ ذِكْرَهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ بِسَرَائِرِهِمْ وَضَمَائِرِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ،[2] .

وقال السّعديّ: ((ثم وصف أولي الألباب بأنهم {يذكرون الله} في جميع أحوالهم: {قياما وقعودا وعلى جنوبهم} وهذا يشمل جميع أنواع الذكر بالقول والقلب، ويدخل في ذلك الصلاة قائما، فإن لم يستطع فقاعدا، فإن لم يستطع فعلى جنب، وأنهم))[3] .

---

١ - ارّهص والوقص لمستحل الرّقص.

٢ - تفسير ابن كثير ج٢ ص ١٦٢ .

٣ - تفسير تيسير كريم الرحمن ص ١٦١ .

وقال ابن كثير في معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾.

((يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ عُقَيْبَ صَلَاةِ الْخَوْفِ وَإِنْ كَانَ مَشْرُوعًا مُرَغَّبًا فِيهِ أَيْضًا بَعْدَ غَيْرِهَا، وَلَكِنَّ هَاهُنَا آكَدُ لِمَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ التَّخْفِيفِ فِي أَرْكَانِهَا، وَمِنَ الرُّخْصَةِ فِي الذَّهَابِ فِيهَا وَالْإِيَابِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ يُوجَدُ فِي غَيْرِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ: ﴿...فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ... ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة:٣٦] وَإِنْ كَانَ هَذَا مَنْهِيًّا عَنْهُ فِي غيرها، ولكن فيها آكد لشدة حرمتها وعظمتها، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ ... ﴿١٠٣﴾﴾ أَيْ فِي سائر أحوالكم، ثم قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ... ﴿١٠٣﴾﴾ أَيْ فَإِذَا أَمِنْتُمْ وَذَهَبَ الْخَوْفُ، وَحَصَلَتِ الطُّمَأْنِينَةُ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ أَيْ فأتموها وأقيموها كما أمرتم بحدودها، وخشوعها، وركوعها، وسجودها، وجميع شؤونها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ قال ابن عباس: أي مفروضا، وقال أيضا: إن للصلاة وقتا كوقت الحج، وَكَذَا رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَسَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ وَعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ والحسن ومقاتل والسدي وعطية العوفي))[1].

فليس ثمّة وجه مقاربة بين تفسير أهل العلم، وبين أهل التحريف من الصّوفية المارقة لمنطوق ومفهوم الآيتين، فحاشا لله أن ينهى عن شيء ثمّ يأمر عباده بارتكابه، ولكنّ الهوى انِ استحكم بربقة أتباعه؛ ضلّهم عن الصّراط المستقيم، وحيّدهم عن

---

١ – تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٥٧.

الحقّ المبين، ثم جعل قلوبهم مجخيّةً كالكوز المنكّسة علىٰ أعقابها، لا تنكر منكراً، ولا تأمر بمعروفٍ، إلّا ما أُشربت من هواها، فحينئذٍ سقط عنهم لباس التّقوىٰ، وبرقع الحياء، واسودّت وجوههم بسواد بدعتهم، ومعلوم مما أدركه النّبيون من جوامع الكلم إن لم تستحي فاصنع ما شئت، كما جاء في الحديث الصّحيح:

((قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ))[1].

فلا شكّ بأنّ ضلال العقل، والقلب، والتّقليد من غير علم؛ سبب في ضياع دين المرء، وجعله كالرّيشة في مهبّ الرّياح، وأمّا العلم فهو السّراج المنير، والحبل المتين لصاحبه، فلا ينهزه إلّا لخير خالص، أو راجح، أو دفع مفسدة خالصة، أو راجحه عنه.

الشبهة الخامسة: استدلالهم بلعب الحبشة في المسجد

قال إبراهيم الحنفي _ رحمه الله:

((إنّ رقص الحبشة لم يكن مجرد رقص بل كان لعبا بالدَّرَق والحِراب، قال البخاري رحمه الله، باب الحِراب: والدرق يوم العيد، ثم ذكر الحديث عن عائشة رضي الله عنها، إلىٰ أن قالت: وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدَّرق والحِراب، فإمَّا سألْتُ رسولَ الله (ﷺ)، وإمَّـا قال تشتهين تنظرين، فقلتُ نعم، فأقامني وراءه، خدِّي علىٰ خدِّه، وهو يقول: دونكمم يا بُني أرْفَدة، حتىٰ إذا مللت قال: حسبُك، قلت: نعم، قال: فاذهبي، انتهىٰ[2])).

---

١ – أخرجه البخاريّ برقم ٣٤٨٣.

٢ – صحيح البخاري ٩٥٠

فحينئذ هو من جنس ما استُثني في الحديث، فإنه من الاستعداد للحرب والجهاد، وكالرمي، والقوس، وتأديب الفرس، وإليه أشار الشيخ الإمام العلامة شرف الدين إسماعيل ابن المقري اليمني الشافعي في قصيدته في ذمّ الرقص بقوله :

قالوا رقصنا كما الأحبوش قد رقصوا   بمسجد المصطفى قلنا بلا كذب

قلنا بلا كذب فالحبش ما رقصوا لكنهم   لعِبوا من آلة الحرب بالآلات واليلب

وذلك اللعب مندوب تعلّمه   في الشرع للحرب تدريبا لكلِّ غبي[1]

---

١ – الرهص والوقص لمستحل الرقص.

الرّقص عند الصّوفية عبادة من العبادات ومن أعظم القربات"

لا ريب؛ بأنّ منهج التّصوف في بادئ الأمر منشأه علىٰ الزّهد، والورع، وعلىٰ الكتاب، والسّنة، كما هو حال الجنيد وعبد القادر الجيلاني، ومن قبلهم الحسن البصريّ، فليسوا من مارقة الصّوفية في شيء، إلّا الاسم، فكذبوا علىٰ هؤلاء العلماء، كما صنعت الشّيعة المارقة حينما كذبوا في توثيقهم لصحّة منهجهم علىٰ عليّ (ﷺ) وعلىٰ جعفر الصّادق رحمه الله. فكثير من عباداتهم تشابه الشّيعة في صنيعهم، فكلا الفريقين زاغ وانحرف عن منهج النّبوة، وسلف الأمّة حتّىٰ دعاهم غلوّهم في منهجهم أن يضللُّوا كلّ من خالفهم، بل غلاتهم يتجرؤون في تكفيرهم.

ثمّ خلف من بعد الجنيد وعبد القادر، خلفٌ أضاعوا الكتاب والسّنّة، واتّبعوا شهوات أهل المجون، والطّرب، واتّبعوا سنن القيان، والنّساء، في الرّقص، والضّرب علىٰ الغربال، والدّف، والتحجيل، وأخذوا بسنة أصحاب العجل في رقصهم وجعل ذلك عبادة من العبادات، بزعمهم بأنّ هذا ما بُعِث به النّبيّ (ﷺ)، وهذا ما أُمروا به فعمدوا إلىٰ الكذب علىٰ الله ورسوله، فتعالىٰ الله، وتنزّه شرعه، عن قذارة أفكارهم، وطيش أفكارهم، الّتي تأباها الفطر السّليمة، والعقول المنيرة.

وممّا يدلّ علىٰ أنّ الرّقص عندهم عبادة إضافة علىٰ ما أوردوه من أحاديث مكذوبة، أو سفسطة مخذولة؛ بأنّ مساجدهم في مشارق العالم، ومغاربها فما تجد فيها حلقة علم علىٰ هدي الكتاب والسّنّة، ولكن تجدهم يتنادون للرّقص فيها وإليها سواء أكان هنالك عيدٌ، أو مولد، أو غير ذلك مما ليس له سبب حدّ زعمهم الباطل، بل

يعيبون علىٰ الّذين لا يرقصون، ولا يحضرون حضرتهم المكذوبة علىٰ الله ورسوله، فبدّلوا مقصد إنشاء المساجد لمقصد آخر، ألا وهو اللّهو، واللّعب، وجعله عبادة، كحال البغيّ الّتي تأخذ مهر زناها لتطعم به اليتامىٰ!!. أينفعها ذلك؟! وهؤلاء القوم نفشت في حقول عقولهم، وقلوبهم نيران شبهات، وشهوات أتباع الشياطين فمجّدوا البدع، وحاربوا السّنن، ولكن الفوز، والنّجاة لأصحاب الصّراط السّوي ومن اهتدىٰ.

اتخاذهم المساجد موطن رقصٍ ولهو ولعب

لقد زيّن الشّيطان للصّوفية شرّ أعمالهم، حتّى سولت لهم أنفسهم؛ بأن يجعلوا الرّقص، والوجد عبادة متعلقةً ببيوت الله، وقربةً لله من أعظم القربات فيها! ولم يكتفوا بذلك، بل عمدوا لإنشاء مساجد ضرار لهم؛ تجمع أبدانهم وأرواحهم، وقد سمّوها بالزّوايا، فحرّفوا مقصد الشّارع الحكيم في علة إنشاء المساجد إلى مقصد آخر يوافق طرب قلوبهم، وشهوة عقولهم. فمعلوم من الضّرورة بأنّ المساجد بنيت؛ لطاعة الله من إعلاء كلمة التّوحيد، والصّلاة فيها، وقرآة القرآن، كما أخبر سبحانه وتعالى مقصد إنشائها: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ **[النور:٣٦-٣٨]**.

معنى ذلك: ((أي أمر الله تعالى بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال الَّتِي لَا تَلِيقُ فِيهَا. كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ قَالَ نَهَى اللهُ سُبْحَانَهُ عَنِ اللَّغْوِ فِيهَا، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ وَأَبُو صَالِحٍ وَالضَّحَّاكُ وَنَافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ وَسُفْيَانُ بْنُ حُسَيْنٍ وغيرهم من العلماء الْمُفَسِّرِينَ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: هِيَ هَذِهِ الْمَسَاجِدُ أَمَرَ الله سبحانه وتعالىٰ ببنائها وأخر بِعِمَارَتِهَا وَتَطْهِيرِهَا))[1].

وقال السعدي في تفسير ذلك: ((أي: يتعبد لله {فِي بُيُوتٍ} عظيمة فاضلة، هي أحب البقاع إليه، وهي المساجد. {أَذِنَ اللَّهُ} أي: أمر ووصىٰ {أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} هذان مجموع أحكام المساجد، فيدخل في رفعها، بناؤها، وكنسها، وتنظيفها من النجاسة والأذىٰ، وصونها من المجانين والصبيان الذين لا يتحرزون عن النجاسة، وعن الكافر، وأن تصان عن اللغو فيها، ورفع الأصوات بغير ذكر الله.

{وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} يدخل في ذلك الصلاة كلها، فرضها، ونفلها، وقراءة القرآن، والتسبيح، والتهليل، وغيره من أنواع الذكر، وتعلم العلم وتعليمه، والمذاكرة فيها، والاعتكاف، وغير ذلك من العبادات التي تفعل في المساجد، ولهذا كانت عمارة المساجد علىٰ قسمين: عمارة بنيان، وصيانة لها، وعمارة بذكر اسم الله، من الصلاة وغيرها، وهذا أشرف القسمين، ولهذا شرعت الصلوات الخمس والجمعة في المساجد، وجوبا عند أكثر العلماء، أو استحبابا عند آخرين. ثم مدح تعالىٰ عمارها بالعبادة فقال: {يُسَبِّحُ لَهُ} إخلاصا {بِالْغُدُوِّ} أول النهار {وَالآصَالِ} آخره))[2].

فهذا هو مقصد الشّارع الحكيم من بنائها، وأما الرقص، وبدع الموالد فيها، فكلّ ذلك من عمل الشّيطان، وليس من دين الله في شيء، وإنّما هو من سنن اليهود والمشركين، وأهل المجون، والبوذيّة، والمجوسيّة، الّذين اتّخذوا من الرّقص عبادة ورياضة من الرّياضات، وقربة من القربات.

---

١ – تفسير ابن كثير ج٦ ص ٥٦.

٢ – تفسير تيسير الكريم الرحمن ص ٥٦٩.

فلا ريب بأنّ القرون الثلاثة الخيرية، كانت علىٰ الكتاب، والسّنة، ومنهج النّبوة، فكانت مساجدهم علىٰ هدىٰ الوحيين، وكانوا أكثر تعظيماً لله ولرسول الله (ﷺ) فلم يفعلوا أفاعيل صوفيّة أهل اللهو والمجون، بل كان سماعهم، هو كتاب الله وسنّة رسوله، وكانت مجالسهم لمذاكرة العلم وطلبه، لا للغزل والطّرب وضرب الدّف والتحجيل والوجد الكاذب.

وعندما غابت السّنة في حياة الأمّة الإسلامية، إلّا ما رحم ربي، أصبحت المساجد مرتعاً لأهل البدع ومربداً، ومأرباً لتنجيسها ببدعهم، من رقص، ولهو، ولعب، وشرك، فيستطيع كلّ واحد أن يرىٰ ما يصنعون من خلال، الوسائل الحديثة الّتي أُتيحت لنا، فسيرىٰ ما يغضب الله سبحانه وتعالىٰ، وإنّ القلب ليحزن علىٰ مساجد الله مما أحدثوه، واختلقوه، حتّىٰ أصبحت بيوت الله، تتقيأ من نتن أفعالهم، المبتدعة، وسوء أعمالهم.

الصّوفيّة تحي بدعة الدّولة الفاطميّة الباطنيّة (المولد النّبويّ) في المساجد

لا ريب في منهج الصّوفيّة؛ بأنّه منهج تحفّه الشّهوات، والشّبهات، ممّا يجعلهم يشدون رحلهم لكلّ عماية، وغواية، وجهالة، ولا يقصرون في طلبها، حتّى أُشربت قلوبهم حبّ البدع، واستئناسها سواء أكانت من منشأهم، أم من منشأ أعداء الله كالفاطميين الملاحدة الّذين ابتدعوا في زمن دولتهم الّتي أهلكها الله، واستأصل شأفتها، بدعاً كثيرة منها بدعة المولد النّبوي، ليشغلوا بها النّاس عن اتباع السّنّة، ويفتحوا باباً للاستحسان العقلي المضادّ لشرع الله، وفعلاً هذا ما حدث، فقد عملت بها طائفتان: الشّيعة، والصّوفية، وقد ذكر ذلك الإمام المقريزي رحمه الله في كتابه الخطط، حيث قال: ((كان للخلفاء الفاطميين في طوال السّنة أعياد _وذكر منها_ رأس السّنة، وأول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النّبي (ﷺ) ومولد فاطمة، والحسن والحسين))[1]، فالباطنيون[2]، هم زنادقة كفرة فجرة، ولهم ألقاب عند أهل السنة

---

١ - كتاب الخطط للمقريزي ج١١ ص ٤٩٠.

٢- تعريف الباطنية لفظ الباطنية مأخوذ من كلمة بطن بمعنى خفي فهو باطن، جمعه بواطن، واستبطن أمر وقف على دخلته، والباطنة بالكسرة، السريرة، والباطن هو داخل كل شيء ومن الأرض ما غمض يسمى باطنا (١).

والباطنية: هي الفرق التي تنتسب إلى التشيع، وحب آل البيت، وتتخذ من ذلك ستارا وغطاء لخداع المسلمين مع إبطانهم للكفر المحض والباطنية اصطلاح عام يطلق على جمع من الطوائف والفرق المتعددة المتشعبة وبينها قاسم مشترك هو الاعتقاد بالظاهر والباطن، وتأويل نصوص=

والجماعة كما ذكرها شيخ اللإسلام ((وَلَهُمْ " أَلْقَابٌ " مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ تَارَةً يُسَمَّوْنَ " الْمَلَاحِدَةَ " وَتَارَةً يُسَمَّوْنَ " الْقَرَامِطَةَ " وَتَارَةً يُسَمَّوْنَ " الْبَاطِنِيَّةَ " وَتَارَةً يُسَمَّوْنَ " الْإِسْمَاعِيلِيَّة " وتَارَةً يُسَمَّوْنَ " النُّصَيْرِيَّة " وَتَارَةً يُسَمَّوْنَ " الخرمية " وَتَارَةً يُسَمَّوْنَ " الْمُحَمِّرَةَ " وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ مِنْهَا مَا يَعُمُّهُمْ وَمِنْهَا مَا يَخُصُّ بَعْضَ أَصْنَافِهِمْ كَمَا أَنَّ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ يَعُمُّ الْمُسْلِمِينَ وَلِبَعْضِهِمْ اسْمٌ يَخُصُّهُ: إمَّا لِنَسَبِ وَإِمَّا لِمَذْهَبِ وَإِمَّا

= الشريعة تأويلا باطنا يتوافق مع معتقدات زعموا أنهم اختصوا بها وبمعرفتها دون سواهم وبهذا يعلم أن الباطنية ليست فرقة واحدة، وإنما فرق متعددة. سبب التسمية وسبب تسميتهم بهذا الاسم لأنهم يزعمون أن لظواهر القرآن بواطن يعرفونها دون سواهم، قال الشهرستاني في سبب تسميتهم بهذا اللقب: "إنه لزمهم بهذا اللقب لحكمهم بأن لكل شيء ظاهرا وباطنا، ولكل تنزيل تأويلا" بداية الحركة الباطنية يرى علماء الفرق والتاريخ أن بداية ظهور حركة الباطنية في أيام المأمون على يد حمدان بن قرمط، وعبد الله بن ميمون القداح، وأن هذه الدعوة انتشرت في زمن المعتصم العباسي، وأنهم اجتمعوا في سجن المهدي، للتنسيق بينهم، وكانوا أربعة رجال، وهم: أحمد بن الحسين، وعبد الله بن ميمون بن قداح، والزنداني، وحمدان بن قرمط" (١). قال البغدادي: اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس بل أعظم من مضرة الدهرية"(٢).

وقال: "الذين أسسوا دعوة الباطنية: جماعة منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح، وكان مولى لجعفر الصادق، وكان بالأهواز ومنهم: محمد بن الحسن بدندان، اجتمعوا كلهم مع ميمون بن ديصان في سجن العراق، فأسسوا في ذلك السجن مذاهب الباطنية..، ثم رحل ميمون بن ديصان إلى ناحية المغرب، وانتسب في تلك الناحية إلى عقيل بن أبي طالب، وزعم أنه من نسله، فلما دخل في دعوته قوم من غلاة الرفض والحلولية، ادعى أنه من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق ثم ظهر في دعوته إلى الباطنية رجل يقال له حمدان بن قرمط...، وإليه ينتسب القرامطة".قال البغدادي: "الذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم، وينكرون الرسل والشرائع كلها" ((موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ج٩ ص ٤٠)) .

لِبَلَدٍ وَإِمَّا لِغَيْرِ ذَلِكَ. وَشَرْحُ مَقَاصِدِهِمْ يَطُولُ وَهُمْ كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ فِيهِمْ: ظَاهِرُ مَذْهَبِهِمْ الرَّفْضُ وَبَاطِنُهُ الْكُفْرُ الْمَحْضُ. وَحَقِيقَةُ أَمْرِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِنَبِيٍّ مِنْ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ؛ لَا بِنُوحِ وَلَا إبْرَاهِيمَ وَلَا مُوسَىٰ وَلَا عِيسَىٰ وَلَا مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَلَا بِشَيْءِ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ؛ لَا التَّوْرَاةِ وَلَا الْإِنْجِيلِ وَلَا الْقُرْآنِ. وَلَا يُقِرُّونَ بِأَنَّ لِلْعَالَمِ خَالِقًا خَلَقَهُ؛ وَلَا بِأَنَّ لَهُ دِينًا أَمَرَ بِهِ وَلَا أَنَّ لَهُ دَارًا يَجْزِي النَّاسَ فِيهَا عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ غَيْرَ هَذِهِ الدَّارِ))[1]. فهؤلاء ليسوا من أهل الإسلام في شيء.

لِمَ ابتدعوا تلك البدع!؟ الجواب: بأن شياطين الجنّ، والإنس محبتهم للمسلم بارتكابه بدعة أحبّ إليهما من اقتراف معصية تعلقها بشهوة؛ لأنّ البدع بريد الشّرك، والكفر، والزّندقة، والنّفاق، فكم من طائفة حائرة أضلها الشّيطان بالغلو في العبادات، كالنّصارىٰ، والشّيعة وغيرهم من أهل الأهواء، فالباطنيون مثلاً أدخلوا علىٰ المسلمين تلك البدع لمحاربة السّنة الّتي علىٰ منهج النّبوة، وتلك الشّبه خطّافة لكل قلب جاهلٍ، من لا يعرف السّنة، من البدعة، فتنشبّ أنياب البدع في قلبه، فيظنّ؛ بأنّ هذا هو شرع الله الّذي أُنزل علىٰ محمد (ﷺ)، وهذا ما اعتقده الصوفيون حينما قاموا بأحياء سنن دين الباطنية الملاحدة، بأن جعلوا مولد النّبي من أعظم ما يتقرب به المسلم عند ربّه، فكل عام يحتفلون بتلك الذكرىٰ امتداداً لبدعة الفاطميين الدولة العبيدية الملاحدة، بل لم يكتفي الصوفية بذلك! بل أدخلوا احتفالهم بالمولد في بيوت الله بمصاحبة الرّقص، والضرب بالدّفّ، والتواجد، وهذا لا ينكره أحد؛ لأنّنا نشاهدهم في بيوت الله كيف يصنعون فيها؛ حينما يحتفلون ببدعة المولد! فهل هذا من الشرع الّذي شرعه الله!؟ فهل هذه هي سنّة نبيّنا (ﷺ)!؟ فهل فعل ذلك خير القرون!؟

---

١ – مجموع الفتاوىٰ ابن تيمية ج٣٥ ص ١٥٢.

فتعالىٰ الله عمّا يخرصون. إنّ الاحتفال بالمولد: بدعة باطنيّة، وفيها تشبّه بالنصارىٰ كما قرره شيخ الإسلام قال: ((ما يحدثه بعض الناس، إما مضاهاة للنصارىٰ في ميلاد عيسىٰ (عليه السلام)، وإما محبة للنبي (ﷺ)، وتعظيمًا. والله قد يثيبهم علىٰ هذه المحبة والاجتهاد، لا علىٰ البدع- من اتخاذ مولد النبي (ﷺ) عيدًا، مع اختلاف الناس في مولده. فإنّ هذا لم يفعله السلف، مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه لو كان خيرًا. ولو كان هذا خيرًا محضا، أو راجحًا لكان السلف (رضي الله عنهم) أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله (ﷺ) وتعظيمًا له منا، وهم علىٰ الخير أحرص))[1]، وقال أيضاً: ((وَأَمَّا اتِّخَاذُ مَوْسِمٍ غَيْرِ الْمَوَاسِمِ الشَّرْعِيَّةِ كَبَعْضِ لَيَالِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ الَّتِي يُقَالُ: إنَّهَا لَيْلَةُ الْمَوْلِدِ أَوْ بَعْضِ لَيَالِي رَجَبٍ أَوْ ثَامِنَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ أَوْ أَوَّلِ جُمْعَةٍ مِنْ رَجَبٍ أَوْ ثَامِنِ شَوَّالٍ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْجُهَّالُ عِيدَ الْأَبْرَارِ فَإِنَّهَا مِنْ الْبِدَعِ الَّتِي لَمْ يَسْتَحِبَّهَا السَّلَفُ وَلَمْ يَفْعَلُوهَا وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَعْلَم))[2].

---

١ - قتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ج٢ ص ١٢٣.

٢ - مجموع الفتاوىٰ ٢٥ ص ٢٩٨.

اتخاذهم مساجد الضّرار

كانوا في بادئ أمر بدعتهم يجتمعون في دويرات تجمع أجسادهم وأرواحهم للهو واللّعب في شرع الله، من رقص وسماع للأشعار وغناء وطرب، ولكنّ قد تباعدت أنظارهم إلىٰ أن يتعرف النّاس علىٰ بدعتهم، ولترنوا قلوب النّاس إليها، حتّىٰ تشغف قلوبهم حبّاً بها، ومتابعة لهم؛ فعمدوا إلىٰ بناء مساجد يسمونها (الزاويا)!!؛ لكي يجهروا ويصدعوا ببدعتهم، ويعلنوا من خلالها حربهم، وعداوتهم، وبغضائهم علىٰ أهل السلف، والخلف فيمن خالفهم، وتبرأ من بدعتهم، ولقد اقتفوا سنة المنافقين، والشّيعة المنحرفين في تأسيس مساجدَ تفرقهم عن مساجد أهل السّنة الّتي بُنيت علىٰ التّقوىٰ، كما أخبر سبحانه وتعالىٰ عن أهل الضّرار: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾ [**التوبة:١٠٧-١٠٨**].

اذاً من مقاصدهم :-

أولاً: تجمع أبدانهم.

ثانياً: السيطرة المطلقة علىٰ المسجد فيما يتعلق به من سدانة، ورفادة وتعليم، وغير ذلك.

ثالثاً: نفث سمومهم البدعيّة المكذوبة علىٰ الله ورسوله، وعلىٰ أئمة الهدىٰ من خلالها.

رابعاً: محاربة أهل السنّة فيمن يرتاد مساجدهم، كما تفعله الشّيعة مع أهل السنّة إن دخلوا مساجدهم يقومون بشتمهم وضربهم وربما قتلهم.

خامساً: العمل علىٰ نشر بدعهم من خلال كتب تخصّ منهجهم ويعملون علىٰ نشرها وتعليمها.

سادساً: دفن مشايخهم فيها طلباً للتوسل، والاستغاثة، والتبرك بهم.

مقاصدهم كثيرة، ولكن هنالك من يبطلها، ويبيّن دجلها، ووزرها، كما أخبر بذلك الصّادق المصدوق: قَالَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ): «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِين»[1].

---

١ – رواه البيهقي وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ج١ برقم ٨٢.

الفرق بين صوفيّة الزّهد وصوفيّة أهل الرّقص والوجد والمجون

قال شيخ الإسلام_ رحمه الله _((فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا ظَهَرَتْ الصُّوفِيَّةُ مِنْ الْبَصْرَةِ وَأَوَّلُ مَنْ بَنَىٰ دويرة الصُّوفِيَّةِ بَعْضُ أَصْحَابِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ وَعَبْدُ الْوَاحِدِ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ وَكَانَ فِي الْبَصْرَةِ مِنْ الْمُبَالَغَةِ فِي الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ وَالْخَوْفِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي سَائِرِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَلِهَذَا كَانَ يُقَالُ: فِقْهٌ كُوفِيٌّ وَعِبَادَةٌ بَصْرِيَّةٌ. وَقَدْ رَوَىٰ أَبُو الشَّيْخِ الأصبهاني بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِين أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ قَوْمًا يُفَضِّلُونَ لِبَاسَ الصُّوفِ فَقَالَ: إنَّ قَوْمًا يَتَخَيَّرُونَ الصُّوفَ يَقُولُونَ: إنَّهُمْ مُتَشَبِّهُونَ بِالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَهَدْيُ نَبِيِّنَا أَحَبُّ إلَيْنَا وَكَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) يَلْبَسُ الْقُطْنَ وَغَيْرَهُ أَوْ كَلَامًا نَحْوًا مِنْ هَذَا. وَلِهَذَا غَالِبُ مَا يُحْكَىٰ مِنْ الْمُبَالَغَةِ فِي هَذَا الْبَابِ إنَّمَا هُوَ عَنْ عُبَّادِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِثْلُ حِكَايَةِ مَنْ مَاتَ أَوْ غُشِيَ عَلَيْهِ فِي سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَنَحْوِهِ. كَقِصَّةِ زرارة بْنِ أَوْفَىٰ قَاضِي الْبَصْرَةِ فَإِنَّهُ قَرَأَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾﴾ فَخَرَّ مَيِّتًا وَكَقِصَّةِ أَبِي جهيرٍ الْأَعْمَىٰ الَّذِي قَرَأَ عَلَيْهِ صَالِحُ المري فَمَاتَ وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِمَّنْ رُوِيَ أَنَّهُمْ مَاتُوا بِاسْتِمَاعِ قِرَاءَتِهِ وَكَانَ فِيهِمْ طَوَائِفُ يُصْعَقُونَ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَلَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ هَذَا حَالُهُ؛ فَلَمَّا ظَهَرَ ذَلِكَ أَنْكَرَ ذَلِكَ طَائِفَةٌ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ: كَأَسْمَاءِ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَمُحَمَّدِ بْنِ سِيرِين وَنَحْوِهِمْ. وَالْمُنْكِرُونَ لَهُمْ مَأْخَذَانِ: مِنْهُمْ مَنْ ظَنَّ ذَلِكَ تَكَلُّفًا وَتَصَنُّعًا. يُذْكَرُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِين أَنَّهُ قَالَ: مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُصْعَقُونَ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ إلَّا أَنْ يُقْرَأَ عَلَىٰ أَحَدِهِمْ وَهُوَ عَلَىٰ حَائِطٍ فَإِنْ خَرَّ فَهُوَ

صَادِقٌ. وَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ رَآهُ بِدْعَةً مُخَالِفًا لِمَا عُرِفَ مِنْ هَدْيِ الصَّحَابَةِ كَمَا نُقِلَ عَنْ أَسْمَاءَ وَابْنِهَا عَبْدِ اللهِ. وَالَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْوَاحِدَ مِنْ هَؤُلَاءِ إِذَا كَانَ مَغْلُوبًا عَلَيْهِ لَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ حَالُ الثَّابِتِ أَكْمَلَ مِنْهُ؛ وَلِهَذَا لَمَّا سُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَد عَنْ هَذَا. فَقَالَ: قُرِئَ الْقُرْآنُ عَلَى يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ فَغُشِيَ عَلَيْهِ وَلَوْ قَدَرَ أَحَدٌ أَنْ يَدْفَعَ هَذَا عَنْ نَفْسِهِ لَدَفَعَهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ فَمَا رَأَيْت أَعْقَلَ مِنْهُ وَنَحْوَ هَذَا. وَقَدْ نُقِلَ عَنْ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ أَصَابَهُ ذَلِكَ وَعَلِيُّ بْنُ الْفُضَيْل بْنِ عِيَاضٍ قِصَّتُهُ مَشْهُورَةٌ وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذَا كَثِيرٌ مِمَّنْ لَا يُسْتَرَابُ فِي صِدْقِهِ. لَكِنَّ الْأَحْوَالَ الَّتِي كَانَتْ فِي الصَّحَابَةِ هِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي الْقُرْآنِ وَهِيَ وَجَلُ الْقُلُوبِ وَدُمُوعُ الْعَيْنِ وَاقْشِعْرَارُ الْجُلُودِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ... ﴿٢٣﴾﴾ وَقَالَ تعَالَى: ﴿... إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ وَقَالَ: ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ... ﴿٨٣﴾﴾ وَقَالَ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾. وَقَدْ يَذُمُّ حَالَ هَؤُلَاءِ مَنْ فِيهِ مِنْ قَسْوَةِ الْقُلُوبِ وَالرَّيْنِ عَلَيْهَا وَالْجَفَاءِ عَنْ الدِّينِ مَا هُوَ مَذْمُومٌ وَقَدْ فَعَلُوا وَمِنْهُمْ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ حَالَهُمْ هَذَا أَكْمَلُ الْأَحْوَالِ وَأَتَمُّهَا وَأَعْلَاهَا وَكِلَا طَرَفَيْ هَذِهِ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ. بَلْ الْمَرَاتِبُ ثَلَاثٌ: (أَحَدُهَا حَالُ الظَّالِمِ لِنَفَسِهِ الَّذِي هُوَ قَاسِي الْقَلْبِ لَا يَلِينُ لِلسَّمَاعِ وَالذِّكْرِ وَهَؤُلَاءِ فِيهِمْ شَبَهٌ مِنْ الْيَهُود. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا

يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾. وَ(الثَّانِيَةُ) حَالُ الْمُؤْمِنِ التَّقِيِّ الَّذِي فِيهِ ضَعْفٌ عَنْ حَمْلِ مَا يَرِدُ عَلَىٰ قَلْبِهِ فَهَذَا الَّذِي يُصْعَقُ صَعْقَ مَوْتٍ أَوْ صَعْقَ غَشْيٍ فَإِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ لِقُوَّةِ الْوَارِدِ وَضَعْفِ الْقَلْبِ عَنْ حَمْلِهِ وَقَدْ يُوجَدُ مِثْلُ هَذَا فِي مَنْ يَفْرَحُ أَوْ يَخَافُ أَوْ يَحْزَنُ أَوْ يُحِبُّ أُمُورًا دُنْيَوِيَّةً يَقْتُلُهُ ذَلِكَ أَوْ يُمْرِضُهُ أَوْ يَذْهَبُ بِعَقْلِهِ))[1].

تبيّن بأنّ الصّوفيّة المتقدّمين؛ بأنّ المآخذ الّتي كانت عليهم، هو إفراطهم في جانب الزّهد، واتخاذهم لباس الصّوف، والتّصنّع في الخروج عن المألوف حين سماع القرآن، كالغشيّ، والصّعق.

وأمّا صوفيّة الطّرب، والرّقص، فهؤلاء ليسوا علىٰ طريقة الأولين، بل هم علىٰ طريقة أهل المجون، وعلىٰ طريقة اليهود، والنّصارىٰ، والشّيعة في حبهم لصالحي أمواتهم، وجعلهم أوثاناً من دون الله يعبدونها[2]، من استغاثة، وتوسلٍ، وتبرّكٍ، فليس ثمة شبه بين صوفية أهل الزّهد وهؤلاء. فهؤلاء بدعهم شرّ البدع فقد جعلت ممّا حرّم الله عبادة وقربةً، وسنناً لتضاهي بها شريعة الله، وجعلوا لها مريدين، يتعبدون بها، ويستنصرون لها، ويسبحونها بالغداة، والعشيّ، ووجّهوا أسنة رماحهم،

---

١ - مجموع الفتاوىٰ ج ١١ ص ٧.

٢ - لست بمكفرٍ للصوفية بل منكراً لهم علىٰ اتّباعهم لسنن اليهود والنّصارىٰ في غلوهم في أمواتهم لقول النبي (ﷺ)" عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا»، متفق عليه. والتّكفير له ضوابطه من شروط وموانع.

وألسنتهم الحداد، نحو الطائفة الظاهرين على الحق، المنصورين بإذن الله على من قاتلهم، وخذلهم كما قال عنه (ﷺ):" «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»،[1] قال الْبُخَارِيُّ يَقُولُ سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْمَدِينِيِّ يَقُولُ هُمْ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ. وعَنْ أَحْمَدَ إِنْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ الْحَدِيثِ فَلَا أَدْرِي مَنْ هُمْ[2].

فجعلوا أعدائهم أهل السّلف، والخلف من أهل الحديث، وأهل العقيدة السليمة، فأجرموا في النّيل منهم، إلى أن دفعهم حقدهم وبغضهم للحقّ، وأتباعه؛ بأن يكفروا من خالفهم، ولمزوهم بألقاب يسحرون به عقول الجهلاء بأنّ تلك ألقاب ألقاب سوء وعداوة للإسلام، والمسلمين. فالصّوفية لا يحسنون العمل بالكتاب والسنّة والفهم السّليم، بل يحسنون صنعة الهمز واللّمز، وشتم من أنكر عليهم، وفارقهم، أو الكذب على من خالفهم، فلا عجب في ذلك! فهم يكذبون على الله ورسوله (ﷺ)، أفلا يكذبون على علماء المسلمين، وخيارهم!!.

---

١ -أخرجه مسلم برقم ١٩٢٠.

٢ - فتح الباري ج١٣ ص ٢٩٣.

يحسنون الرّقص، ويسيئون الصّلاة

إنّ حزب الصّوفيّة؛ حزب كباقي الأحزاب الّتي غلّبت جانب العقل على النّقل، والهوى على الاتّباع، فجعلت العقل ملجأً، ومنجاً لها، فأبعدتها ريح البدعة عن موطن النّفع، والانتفاع، فقذفتها في غياهب الجبّ، وظلمته، فأبعدوا النّجعة ممّا أودى بهم عن السّنة، واتّباعها، فطرِبت قلوبهم لمعازف الشّيطان، وقيانه، والتّغني بقصائد المدح، والرّقص، والتّحجيل على ألحان معازف مزامير شياطينها، فاستبدلوا الخبيث بالطّيب، واستبدلوا الغناء بالتغني بالقرآن، وهجروا العلم فاستبدلوا العلم بالخوارق، وطلبها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ((وَلِهَذَا غَلَبَ عَلَى مُنْحَرِفَةِ الْمُتَصَوِّفَةِ الِاعْتِيَاضُ بِسَمَاعِ الْقَصَائِدِ وَالْأَشْعَارِ عَنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ فَإِنَّهُ يُعْطِيهِمْ مُجَرَّدَ حَرَكَةِ حُبٍّ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ تَابِعًا لِعِلْمِ وَتَصْدِيقٍ؛ وَلِهَذَا يُؤْثِرُهُ مَنْ يُؤْثِرُهُ عَلَى سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَيَعْتَلُّ بِأَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ نَزَلَ مَنْ حَقٍّ وَالنُّفُوسُ تُحِبُّ الْبَاطِلَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقَوْلَ الصِّدْقَ وَالْحَقَّ: يُعْطِي عِلْمًا وَاعْتِقَادًا بِجُمْلَةِ الْقَلْبِ وَالنُّفُوسُ الْمُبْطِلَةُ لَا تُحِبُّ الْحَقَّ))[1].

ولزهدهم في العلم، ممّا جعلهم يبتدعون في صلاتهم بدعاً مأثورةً عن مشايخهم، وأوراداً تتلى في صلواتهم، ومجالسهم، كالّتي أحدثها أبو الحسن الشّاذلي شيخ الطّريق كحزب البحر، والحزب الكبير، وأكثر من ذلك بهتاناً، وكذباً، بأنّ ادّعى كبار أئمتهم

---

١ - مجموع الفتاوى ج٢ ص٤٣.

المضلّين؛ بأنّ الواجبات، والطّاعات تسقط عنهم عند حدوث اليقين في نفوسهم الشيطانيّة، استدلالاً بقوله: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحِجر:٩٩]. قال شيخ الإسلام: ((فإنَّ كثيرًا من أهل الضلال يعتقدون سقوط الواجبات عن الأولياء الواصلين إلىٰ الحقيقة ويتأولون قوله: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحِجر:٩٩] قالوا: فإذا حصل اليقين سقطت العبادة وهذا من جنس قول القرامطة الباطنية من المتفلسفة وغيرهم الذين يرون العبادات رياضة النفس حتىٰ تصل إلىٰ المعرفة التي يدَّعونها فإذا وصل إلىٰ المعرفة سقطت عنه. ومن المعلوم أنَّ هذا خلاف دين الإسلام وأنه قد عُلِمَ بالاضطرار من دين الإسلام أن الصلوات الخمس لا تسقط عن أحد من الأولياء ولا عن شيءٍ من واجباتها إلا لعذر شرعيٍّ مثل سقوط الطهارة للعجز عن استعمالها لعدمٍ أو خوفِ ضررٍ وسقوطها بالجنون وسقوط فعلها بالإغماء وفي وجوب القضاء نزاع مشهور ونحو ذلك مما هو معروف في مواضعه. وقوله: ﴿...حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ المرادُ به ما يوقن به من الموت وما بعده باتفاق السلف كما في قوله الذي حكاه عن الكفار: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ٤٧﴾ [المدَّثر:٤٢-٤٧]، ومنه قول النبي (ﷺ) عن عثمان بن مَظْعون أمَّا هذا فقد جاءه اليقين من ربه. ولهذا قال الحسن البصري لم يجعل الله لعبده المؤمن أجلاً دون الموت. ولهذا قال الجُنَيد تكلَّمَ قومٌ بإسقاط الأعمال وهذه عظيمة والذي يزني ويسرق أهون من هذا أو كما قال))[1].

---

١ – الرد علىٰ الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق ص ٥١-٥٢.

فالصّوفية من جملة العبّاد، يعكفون على كثرة العبادة ويأثرونها على العلم والعمل، وهذا الباب أحبّ الأبواب إلى إبليس؛ لأنّه باب الجهل، من خلاله ينفث سمومه في قلوبهم، حتّى يتمكن منهم، فتجدهم في باب الطّهارة، قد لُبس عليهم، فيجلس أحدهم ساعات، وساعات في قضاء الحاجة، أو في الغسل من الأحداث، كما بيّن ذلك ابن الجوزي رحمه الله: ((من ذلك أنه يأمرهم بطول المكث فِي الخلاء وذلك يؤذي الكبد وإنما ينبغي أن يكون بمقدار ومنهم من يقوم فيمشي ويتنحنح ويرفع قدما ويحط أخرى وعنده أنه يستنقي بهذا وكلما زاد فِي هَذَا نزل البول وبيان هَذَا أن الماء يرشح إِلَى المثانة ويجمع فيها فَإِذَا تهيأ الانسان للبول خرج مَا اجتمع فَإِذَا مشى وتنحنح وتوقف رشح شيء آخر فالرشح لا ينقطع وإنما يكفيه أن يحتلب مَا فِي الذكر بين أصبعيه ثم يتبعه الماء ومنهم من يحسن لَهُ استعمال الماء الكثير وإنما يجزيه بعد زوال العين سبع مرات عَلَىٰ أشد المذاهب فَإِن استعمل الأحجار فيها لم يتعد المخرج أجزأه ثَلاثَة أحجار إذا أنقى بهن ومن لم يقنع بما قنع الشرع به فهو مبتدع شرعا لا متبع وَاللَّهُ الموفق))[1].

وأيضاً في باب الوضوء تجدهم قدّ لبّس عليهم إبليس، وكذلك في الصّلوات، غالبهم لا يحسنون طهارتها، ولا أركانها، ولا واجباتها، وكلّ ذلك مرجعه؛ لزهدهم في العلم. وقد ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم في جهالتهم في العلم الشّرعيّ، ومنهم ابن الجوزي في كتابه(تلبيس إبليس)، وقد شاهدت ذلك منهم كثيراً، فإذا صلّى أحدهم المكتوبة نقرها أربعاً، فلا يحسنون ركوعها، ولا سجودها! ومن نكت القوم ترى الشيخ كبير السّن وقد احدودب ظهره، شاب شعره حينما يشرع للصّلاة

---

١ – تلبيس ابليس ص ١٢١-١٢٢.

يصليها جالساً! وعند الحضرة وما يصاحبها من لهو ولعب، رقص، يشدُّ مآزره، وتنشط جوارحه للرّقص، والتحجيل، فتجده أشدَّ وقوةً، وفتوّةً من الشّابّ ذي المرّة السّوي!

وما ذلك إلّا من عمل الشّياطين إذ تؤزّهم أزّاً؛ بتحريض جوارحهم وقلوبهم، وهممهم علىٰ فعل المعاصي وتستعجلهم إليها. ما أهلكهم عن السّنة واتّباعها إلّا جهلهم، وعنادهم، حتّىٰ ساقتهم أهوائهم إلىٰ البدع، فعملوا من غير علم، واقتدوا بغير النّبيّ (ﷺ)، فأضلت أولاهم أخراهم، وانتحلوا انتحال المبطلين، وتأولوا تأويل الجاهلين، وانحرفوا، وزاغوا عن السبيل، ونسأل الله أن يهديهم للحقّ المبين.

الطّريقة الشّاذليّة طريقة دعيّة علىٰ الشّريعة

اتفق أهل السّنة، والجماعة؛ بأنّ جميع الطّرق الصّوفيّة ليست علىٰ هدي النّبيّ (ﷺ)، ويعدونهم من أهل الفرق البدعيّة الّتي فرّقت اعتصام المسلمين، ومزّقت وحدتهم، وجعلت كثيراً من النّاس شيعاً متفرقين مختلفين، معاندين.

وسبب تخصيصي لفرقة الشّاذلية؛ لأنّ وجودهم في بلدتي محصورٌ بهم دون غيرها من الطّرق الدّخيلة الأخرىٰ علىٰ الإسلام، فأحببت أن يتعرّف النّاس الّذين يعيشون بينهم، وفي أكنافهم، علىٰ بدعهم، وخرافاتهم، وضلالاتهم، وسوء أفعالهم، في ميزان الكتاب، والسنّة، ومنهج سلف الأمّة.

التّعريف بشيخ الطريقة، وشطحاته الدّينيّة:

أَبُو الحَسَن الشَّاذِلِي:

ت-(٥٩١ - ٦٥٦هـ = ١١٩٥ - ١٢٥٨م).

علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف ابن هرمز لشاذلي المغربي، أبو الحسن: رأس الطائفة الشاذلية، من المتصوفة، وصاحب الأوراد المسماة " حزب الشاذلي. ولد في بلاد " غمارة " بريف المغرب، ونشأ في بني زرويل (قرب شفشاون) وتفقه وتصوف بتونس، وسكن " شاذلة " قرب تونس، فنسب إليها. وطلب " الكيمياء " في ابتداء أمره، ثم تركها، ورحل إلىٰ بلاد المشرق فحجّ ودخل بالعرق. ثم سكن الإسكندرية. وتوفي بصحراء عيذاب في طريقه إلىٰ الحج.

وكان ضريرا. ينتسب إلى الأدارسة أصحاب المغرب، أخبره بذلك أحد شيوخه عن طريق " المكاشفة " قال الذهبي: نسب مجهول لا يصح ولا يثبت، كان أولى به تركه. وله غير " الحزب " رسالة " الأمين – " في آداب التصوف رتبها على أبواب، و" نزهة القلوب وبغية المطلوب – في و " السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل – " ولتقيّ الدين ابن تيمية رد على حزبه[1].

من شطحاته، وبدعه المحدثة: اختلاق أوراد لمريديه، متضمنةً مآثم عظيمة، وقد ردّ عليه شيخ الإسلام في كتاب سمّاه : ((الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق))، ردّاً على حزبيه، أي: أوراده، ومنها: الحزب الكبير، وحزب البحر.

وقد بيّن شيخ الإسلام ضلاله في أوراده الّتي فيها ما فيها من المنكرات.

ومن شطحاته، في أدعيته: ((قوله: نسألكَ العصمةَ في الحركات والكلمات والإرادات والخَطَرات من الشكوك والظنون والأوهام الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوب))، فهذا الدعاء ينافي حال من يقول علمُك حسبي فمن اكتفى بالعلم لم يسأل، ثم يُقال هذا الدعاء لا يجوز لأحدٍ أن يدعو به بل هو من الاعتداء في الدعاء الذي نهى الله عنه بقوله: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ [**الأعراف:٥٥**]. قال أبو مِجْلَز مِثْل أن يسأل منازلَ الأنبياء فإذا كان مَنْ دون الأنبياء ليس له أن يسأل منازل الأنبياء فكيف إذا سأل ما هو من خصائص الإلهية؟!

---

١ – الأعلام: المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايينالطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م، ج٤ ص ٣٠٥.

ولا ريب أن رفعَ الأمور الساترة عن مطالعة الغيوب مطلقًا لا يحصل لغير الله تعالىٰ فإنه عالِمُ الغيبِ والشهادةِ وإنما أَطْلَعَ من شاء من خلقه علىٰ ما يشاء من علمه كما قال تعالىٰ: ﴿...وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ...﴾ [**البقرة:٢٥٥**]، وقال: ﴿...وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [**الإسراء:٨٥**].

وفي الصحيحين أن الخَضِر قال لموسىٰ لما نَقَر العصفورُ نقرةً في البحر ما نقص علمي وعلمُك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر.

فإذا كان موسىٰ الذي قال الله فيه: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ...﴾ [**الأعراف:١٤٥**]، والخضر الذي قال فيه: ﴿...ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [**الكهف:٦٥**] عِلْمُهما في القِلَّة بهذه النسبة فكيف بمن هو دونهما؟!

وقد قال تعالىٰ لأفضل خلقه: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [**الجن:٢١-٢٧**] وقال له: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ...﴾ [**الأنعام:٥٠**]، ثم لو قُدِّر أنَّ هذا الدعاء يَسُوغ أن يدعوَ به نبيٌّ وإن كان هذا تقديرًا ممتنعًا فهل يسوغ لآحاد العامَّة أن يدعو بهذا وهل هذا إلا كمن يقول اللهم اجعلني أعلمُ ما تَعْلَم واجعلني مثلك؟!

ولهذا كان طائفة من المنتسبين إلىٰ الشاذلي يقولون إنَّ الغَوث الفَرْد القطب الجامع يعلم ما يعلمه الله ويَقْدر علىٰ ما يقدر عليه ويقولون إن النبي (ﷺ) كان هكذا ثم انتقل ذلك السرُّ إلىٰ الحسن بن علي ثم انتقل إلىٰ ذريته حتىٰ انتهىٰ إلىٰ الشيخ أبي الحسن ثم انتقل إلىٰ ابنه[1]. شطحاته كثيرة ومن أراد الفائدة فليرجع لكتاب شيخ الإسلام (الردّ علىٰ الشّاذلي في حزبيه).

---

١ - الرد علىٰ الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق

المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفىٰ: ٧٢٨هـ)

المحقق: علي بن محمد العمران

الناشر: دار عالم الفوائد – مكة

الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٩هـ، ص ٣٨.

مُلَحٌ نفيسةٌ لمتّبعِ الحقّ"
استدل ثمّ اعتقد"

إنّ من أسباب الانحراف الفكريّ، والتلويث العقديّ، وضياع الدّين؛ هو العمل من غير برهان صادق، ولا فهم واضح، ومن غير حجة بالغة، ولا محجة واضحة، فهذا هو دأب كلّ جاهل معاند، أو مستحي من تعلّم العلم، أو مقلّد مصفّد بأصفاد البدعة، مقيد مكبّل بالسلاسل والحديد في عنقه، زمامها بيدي من قلّده، وبأيدي أصحاب بدعته، قلبه سِفنجه، يشرب كلّ شيءٍ يلازمه، دون تمييز، أو تفتيش، فهذه هي قلوب من عبدوا الله علىٰ جهل! وأمّا من عبدوا الله علىٰ برهان واضح، وفهم ثاقب، متّبعٌ لا مبتدع، فهذا قلبه كالمرآه، تردّ كلّ شبهة، وتدمغ كلّ حجة باطلة، وتمحق ضلالة البدع، وتحي السنن، فالمرآة هي: العلم بالكتاب والسّنة، علىٰ نهج، وفهم سلف الأمّة.

فأهل البدع، ومن سلك سبيلهم في العمل قبل العلم، واعتقادهم صحة العمل قبل الاستدلال ببرهان من الله، ورسوله (ﷺ)؛ فهذا الّذي أوردهم مورد المهالك، ومنزلق المزالق؛ لأنّهم قدموا اعتقادهم علىٰ صحة العمل قبل الاستدلال وطلبه إمّا من كتاب الله، أو من سنة النّبيّ (ﷺ)، أو من قول صحابته (رضي الله عنهم) جميعاً، والأدلة علىٰ ذلك كثيرة ومنها قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [**البقرة:١١١**]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [**يونس:٥٩-٦٠**]،

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾م مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١٧﴾﴾ [**النحل:١١٦-١١٧**]، وحذرنا الله سبحانه وتعالىٰ من الجدل بغير برهان؛ لأنّه يفضي لترك الحقّ، والعمل بغير مقتضاه، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [**الحج:٣-٤**]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾﴾ [**الحج:٨**]، ومن السّنّة الأدلّة كثيره الّتي تحضّ علىٰ العلم، والعمل، وعلىٰ البحث عن الدّليل قبل القول، والعمل، كما فعل البخاريّ رحمه الله في تبويبه في صحيحه في كتاب العلم ((بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ))[١]، وقال (ﷺ): ((«مَنْ يُرِدِ اللهُّ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ،))[٢] وقال: ((قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ): " إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ وَيَثْبُتَ الجَهْلُ))[٣]، فعلىٰ المسلم أن يتعبّد الله ويطيعه بعمل موافقٍ للصواب، وأخلصه لله سبحانه وتعالىٰ، فهذان شرطان لقبول العمل، فديننا مبنيّ علىٰ الإخلاص لله، وعلىٰ موافقة النّبيّ (ﷺ) في سنّته، من غير تحريف، ولا تأويل، ولا انتحال، فالاعتقاد المبنيّ علىٰ الوهم، والهوىٰ ثمّ العمل به فهذا من عمل الشيطان، وليس هو ممّا أمر الله به ولا من عند الله، فطلب الدّليل أولا، ً ثم الاعتقاد ثانياً؛ وهذا هو دأب سلف الأمة في التّقرّب لله، كما أمرهم الله سبحانه وتعالىٰ في التزام الدّليل مع الفهم الصّحيح الّذي لا يخالف منطوق ولا مفهوم الشّارع الحكيم.

---

١ - صحيح البخاري ج١ ص ٢٤.

٢ - أخرجه البخاري رحمه الله برقم ٧١، ومسلم برقم ١٠٣٧.

٣ - أخرجه البخاري برقم ٨٠.

التثبّت من صحة الدّليل
وصحّة الدّلالة علىٰ الأحكام

إنّ التّثبّتَ من صحّة الدليل، وصحّة الاستدلال علىٰ الأحكام، واجب عينيّ، وشرطٌ في صحّة قبول الأعمال، وما فرّق النّاس، ومزّق وحدتهم، وأورثهم دين الفاسقين إلّا بسبب أمرين: أحدهما: عدم معرفة الأخبار، والآثار، والأحاديث صحيحها من سقيمها، وصدقها من كذبها، والثّاني : عدم صحة الاستدلال بالدليل. فعلىٰ المسلم أن يراعي هذين الأصلين حتىٰ لا تزلّ قدمه عن الصراط المستقيم، والحقّ المبين.

وأكثر ما أوقع أهل البدع والأهواء في استحسان البدع، ونصرتها، والعكوف عليها، والطّواف حولها؛ قلة علمهم، وزادهم في معرفة الحديث الضّعيف من الصّحيح، حتّىٰ أصبحوا حطّاب ليلٍ يجمعون الغثّ، والسّمين، والخبيث، والطّيب، وجمعهم للخبيث أكثر من جمعهم للطيّب، فعملوا بها، فركبوا الصّعب، والذّلول، وعملوا بالمنكرات، ونهوا عن المعروف، بظنّهم أنّهم يحسنون صنعاً، فمثلاً الصّوفيّون ما أوقعهم في بدع الرّقص، والذّكر، والبناء علىٰ القبور واتخاذها مساجد وإلىٰ غير ذلك من انحرافاتهم؛ إلّا بسبب جهلهم في صحّة الدّليل، وتحريفهم له كما فعلوا فيما سبق من أدلتهم في تجويزهم الرّقص، والوجد، والغناء.

إنّ نبيّنا (ﷺ) أوجب علينا التّثبّت من صحة الأخبار الّتي تُنسب إليه، حيث قال (ﷺ): «لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَكْذِبْ عَلَيَّ يَلِجِ النَّارَ»[1]، وقال: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[2]، وقال: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[3]، وعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: جَاءَ بُشَيْرٌ الْعَدَوِيُّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ، وَيَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ)، قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ)، فَجعَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَا يَأْذَنُ لِحَدِيثِهِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَالِي لَا أَرَاكَ تَسْمَعُ لِحَدِيثِي، أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، وَلَا تَسْمَعُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " إِنَّا كُنَّا مَرَّةً إِذَا سَمِعْنَا رَجُلًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ)، ابْتَدَرَتْهُ أَبْصَارُنَا، وَأَصْغَيْنَا إِلَيْهِ بِآذَانِنَا، فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ، وَالذَّلُولَ، لَمْ نَأْخُذْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا نَعْرِفُ "[4] إن كان هذا التّثبت في زمن الصّحابة رضوان الله عليهم جميعاً فيمن عاصرهم من التّابعين! فكيف بالقرون الّتي مضت من بعدهم! في زمن النّبيّ كان يؤمن من الكذب في حديث الرّسول (ﷺ)، لأنّه بين أظهرهم، ولمّا قبض روحه إلى رفيقه الأعلى، أصبح صحابته لا يأمنون من الوضع على رسول الله كما قال ابن عباس (رضي الله عنه): عَنْ طَاوُسٍ، قَالَ: جَاءَ هَذَا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ - يَعْنِي بُشَيْرَ بْنَ كَعْبٍ - فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: عُدْ لِحَدِيثِ كَذَا وَكَذَا، فَعَادَ لَهُ، ثُمَّ حَدَّثَهُ، فَقَالَ لَهُ: عُدْ لِحَدِيثِ كَذَا وَكَذَا، فَعَادَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا أَدْرِي أَعَرَفْتَ حَدِيثِي كُلَّهُ، وَأَنْكَرْتَ هَذَا؟ أَمْ أَنْكَرْتَ حَدِيثِي كُلَّهُ، وَعَرَفْتَ هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: «إِنَّا كُنَّا نُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) إِذْ لَمْ يَكُنْ يُكْذَبُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ، تَرَكْنَا الْحَدِيثَ

---

١ - أخرجه البخاريّ برقم ١٠٦، ومسلم برقم ١.

٢ - أخرجه البخاريّ برقم ١٠٧،

٣ - أخرجه مسلم برقم ١٠.

٤ - أخرجه مسلم في مقدمته ج١ ص ١٠.

عَنْهُ»[1]، فكلّ هذا التّحرّي في التّثبّت في صحة الخبر، إلّا من أجل أن لا يُكذب علىٰ الله، ورسوله (ﷺ)، فيصبح شرعاً يعمل به النّاس كما فعلته الشّيعة، والصّوفيّة في نقلهم، ووضعهم للأحاديث المجمع علىٰ وضعها، وزورها وبهتانها،

ولكن في كلّ قرن يبعث الله علماء يحملون العلم الّذي يحرسون به كتابه، وسنة رسوله (ﷺ) لقول رسول الله (ﷺ): «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الجْاهِلين»[2]، وكان من هؤلاء العدول الّذين يدافعون الشّريعة من وضع الكذّابين، والدّجالين، والقصّاص الضّالين، ابن المبارك، وأبا اسحاق الفزاري رحمهما الله، وغيرهم من أعلام الأئمة الجهابذة كالإمام أحمد، والبخاريّ، ومسلم، فقد تتبّعوا أحاديث النّبيّ (ﷺ)، فقمشوها، وفتّشوها ونخّلوها، فاستخلصوا صحيحها من ضعيفها بالمنقاش، وأضمأوا نهارهم، وأسهروا ليلهم في غربلت شوائب الأحاديث، وكشفوا اللّثام عن رجال الأسانيد جرحاً، وتعديلاً، فلم يخشوا في الله لومة لائم في كشفها، ولولا هؤلاء لكُذِّب علىٰ الله ورسوله، فلله الحمد والمنّة أن خصّ أمّة محمد بالإسناد، ولولا ذلك لقال من شاء كيف شاء علىٰ الله ورسوله كما قال ابن المبارك رحمه الله: «الْإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ، وَلَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ»[3]، ولقد كان ابن المبارك رحمه الله يتكلّم في الّذين يكذبون علىٰ رسول الله أو تبيّن فسقهم كما جاء عنه: قَالَ مُحَمَّدٌ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ شَقِيقٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهُ بْنَ الْمُبَارَكِ، يَقُولُ عَلَىٰ رُءُوسِ النَّاسِ: «دَعُوا حَدِيثَ عَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَسُبَّ

---

١ - أخرجه مسلم في مقدمته ج١ ص ١٢.

٢ - أخرجه البيهقي وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم ٢٤٨.

٣ -أخرجه مسلم في مقدمته ج١ ص ١٥.

السَّلَفَ»[1]، فقد عاش هؤلاء الجهابذة وهم يبينوا حال الوضّاعين، كما قال حمّاد بن زيد رحمه الله: وضعت الزنادقة على رسول الله (ﷺ) أربعة عشر ألف حديث[2]. وَقَالَ ابْن عَدِيّ: ((لمَّا أُخِذَ عبد الْكَرِيم بن أبي العوجاء، - الَّذِي أَمر بِضَرْب عُنُقه مُحَمَّد بن سُلَيْمَان بن عليّ - لِيُضْرَبَ عُنُقه قَالَ: لقد وضعت فِيكُم أَرْبَعَة آلَاف حَدِيث، أُحَرِّم فِيهَا وأُحَلِّل. وَمِنْهُم: الْحَارِث الكذَّاب الَّذِي ادّعى النُّبُوَّة، وَأَمْثَاله وضعُوا جُمَلاً بل ألوفاً من الحَدِيث اسْتِخْفَافًا بِالدّينِ، وتلبيساً على الْمُسلمين. فَبين نقاد الحَدِيث أمرهَا فِي ذَلِك كُله، وَلم يَخْفَ عَنْهُم من شَأْنهَا مَا خَفِي على غَيرهم بِحَيْثُ لما قيل لِابْنِ الْمُبَارك: هَذِه الْأَحَادِيث الْمَوْضُوعَة! قَالَ: يعِيش لَهَا الجهابذة أَي نقاد الحَدِيث، وحذاقهم، قَالَ الله تَعَالَى {إِنَّا نَحن نزلنَا الذّكر وَإِنَّا لَهُ لحافظون} انْتهى. وَكَأَنَّهُ [أَرَادَ أَنه] من جملَة حفظ لفظ الذّكر حفظُ مَعْنَاهُ))[3].

فينبغي على المسلم أن يتحرّى ما يحمله من علم أخيرٌ هو أم شرّ، فكثير من النّاس من يحمل علماً ضَرّه أكثر من نفعه! كما قال الشّافعي عنهم: ((عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ وَذُكِرَ مَنْ يَحْمِلُ الْعِلْمَ جُزَافًا فَقَالَ هَذَا مِثْلُ حَاطِبِ لَيْلٍ يَقْطَعُ حِزْمَةَ حَطَبٍ فَيَحْمِلُهَا وَلَعَلَّ فِيهَا أَفْعَى فَتَلْدَغُهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي))[4]، ولقد كان مالكٌ

---

١ - أخرجه مسلم في مقدمته ج١ ص ١٦.

٢ - الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح رحمه الله تعالى ص ٢٥٥.

٣ - شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر

المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) ص ٤٤٦.

٤ - : نصيحة أهل الحديث أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) ص ٣٢.

رحمه مع جلالة قدره ورسوخه في العلم يقول: ((عَنِ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ كَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ ضَلَالَةٌ لَقَدْ خَرَجَتْ مِنِّي أَحَادِيثُ لَوَدِدْتُ أَنِّي ضُرِبْتُ بِكُلِّ حَدِيثٍ مِنْهَا سَوْطَيْنِ وَأَنِّي لَمْ أُحَدِّثْ بِهِ))[1].

فهذه فائدة عظيمة في بيان معرفة صحةّ الدّليل، والمدلول؛ لكي يكون المسلم ناصحاً لسنّة رسول الله (ﷺ)، وحتّى يعبد الله على بصيرة وأثارة من علم، فحينئذٍ لا تنزلق الأقدام، ولا تختلف الأرواح، وبذلك يرضى ربّ الأنام، عن عباده الطائعين الكرام.

---

١ - المصدر نفسه ص ٣٤.

الخاتمة

كان الفراغ منه يوم الثلاثاء ٢٨ من جمادىٰ الثاني سنة ١٤٣٨ه الموافق ٢٨ آذار سنة ٢٠١٧.

وأسأل الله سبحانه وتعالىٰ التّوفيق، والسّداد، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يزدنا علماً، ونعوذ به من حال أهل النّار، وطريقة أهل الزّيغ والانحراف، وأن يهدينا للّتي هي أقوم، وصلّىٰ الله وسلّم علىٰ عبده المصطفىٰ، ورسوله المجتبىٰ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

فهرس